قالوا

إنما نحن مصلحون

جهل - غلو - تكفير - تفجير

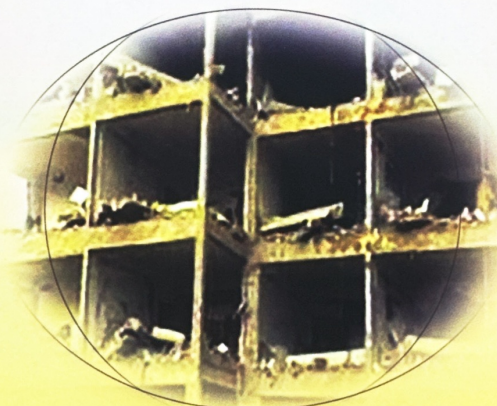

تأليف

عبد الرحمن بن علي بن محمد العسكر

قالوا

إنما نحن مصلحون

جهل - غلو - تكفير - تفجير

كتبها
عبد الرحمن بن علي بن محمد العسكر

(ح) عبد الرحمن علي العسكر ، ١٤٢٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العسكر ، عبد الرحمن علي

قالوا انما نحن مصلحون : جهل ، غلو ، تكفير ، تفجير/

عبد الرحمن علي العسكر - الرياض، ١٤٢٥هـ

٠٠ ص ؛ ٠٠ سم

ردمك: ٨-٠٣١-٤٧-٩٩٦٠

١- خطبة الجمعة ٢- التكفير أ. العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٢٥/٧١٤٠

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٧١٤٠

ردمك: ٨-٠٣١-٤٧-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م

عنوان المؤلف

ص.ب ٩٠٨١٨ - الرياض: ١١٦٢٣

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فإن ما مرت به هذه البلاد من فتنة آلت نتائجها إلى تكفير وتفجير وقتل وترويع قد آلمت كل من لديه حس وبصيرة، ولأن معالجة مثل هذه الأفكار التي أوجدت تلك الفتنة يحتاج إلى تكاتف المجتمع كله يداً واحدة ضد هذه الأفكار، ولما كان خطيب الجمعة من أكثر الناس تأثيراً في المجتمع، إذ يجلس بين يديه الكبير والصغير، والعالم والجاهل، والرئيس والمرؤوس، رأيت أن أضع بين يدي كل خطيب هذه الخطب التي ألقيتها خلال هذه الفتنة، والتي أسأل الله سبحانه أن يصرفها

عن هذه البلاد، وأن يرد كيد كل كائد في نحره، وأن يسبغ علينا نعمة الأمن والإيمان، وأن يرد كل ضال ومنحرف إلى جادة الصواب، إنه ولي ذلك، والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

عبدالرحمن بن علي العسكر

قتل الأنفس المعصومة بغير حق

الحمدُ لله الذي رَفَعَ قَدرَ المؤمنينَ وحَرَّم دِماءهُم، الحمدُ لله الذي يأمرُ بالعَدْلِ ويَنهى عنِ الظُّلْمِ، أحمدُهُ سُبحانَهُ هوَ الحكمُ العَدلُ يومَ لا ينفعُ الندمُ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحْدهُ لا شريكَ لهُ، شَهادَةً يحرُمُ بها دَمُ قائِلِهَا، وأشْهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولهُ صَلَّى الله عليهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تَسليماً كثيراً إلى يومِ الدِّينِ. أمَّا بعدُ:

فأوصِيكُمْ ونَفْسي بِتَقْوى الله فإنَّ مَنْ اتَّقَى اللهَ خَافهُ، ومَنْ خَافهُ حَذِرَ بَطْشَهُ.

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (سورة المائدة، الآية: ١٠٠).

أيُّهَا النَّاسُ: لَقَدْ كَرَّمَ اللهُ جَلَّ وعَلا الإنسَانَ وخَصَّهُ بخصائصَ تُميزُهُ عنْ غيرِهِ مِنَ المخْلوقاتِ ﴿ وَلَقَدْ

كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ أيْ جَعَلنَا لهُمْ كَرماً أيْ شَرَفاً وفَضْلاً.

خَلَقَهُمْ فأحْسَنَ خَلْقَهمْ عَن سَائِرِ الحَيَوَانِ، خَلَقَ لَهمْ في البَرِّ والبَحرِ بِمَا لا يَصِحُّ لسِوَى بَني آدَمَ، خَصَّهمْ بالمطَاعِمِ والمشَارِبِ والملابِسِ، وأعْطَاهُمْ منَ القُدْرةِ على تَصْنِيعِ المآكِلِ والمطَاعِمِ، وكَانَ غَايةُ الحيَوَانِ أنْ يأكُلَ لحماً نَيِّئاً أو طَعاماً غَيرَ مُركَّبٍ، كَرَّمَهُم اللهُ بالنُّطقِ بهذَا اللِّسانِ، سَخَّرَ لهمْ الهَوَامَّ والحيوانَ، ألا وإنَّ مِنْ أعظمِ مَا خَصَّ اللهُ بهِ الإنْسَانَ أنْ صَانَ دَمَهُ وعِرضَهُ ومَالَهُ عَنْ أنْ يُعتَدَى عَليهِ، فهوَ مَعصُومُ الدَّمِ، مُحَرَّمُ القَتْلِ بدونِ قِصَاصٍ شرعيٍّ، مَالُهُ مُحترَمٌ، لا يَجُوزُ الاعْتِداءُ عَليهِ،

عِرْضُهُ مِنْ أغلَى مُكْتَسَباتِهِ، لا يَحِلُّ لِشَخْصٍ أنْ يَعْتَدي عَليهِ، يَقُولُ ﷺ: «والذِي لا إلهَ غَيرُهُ لا يَحِلُّ دَمُ امرىءٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وأنِّي رَسُولُ الله إلا بإحْدَى ثَلاثٍ: النَّفْسُ بالنَّفْسِ، والثَّيِّبُ الزَّاني والمفارِقُ لِدينِهِ التَّارِكُ للجَمَاعَةِ» رواهُ البُخاريُّ.

ذَلِكَ أنَّ المؤمِنَ عِبادَ الله لا يَزِيدُهُ عُمُرهُ إلاَّ خَيْراً وأجراً مِنَ الله تَعالى، لأنَّ حَيَاتَهُ كُلُّهَا طَاعَةٌ لله تَعَالى، مَا بَيْنَ صَلاةٍ وصِيامٍ وحَجٍّ وزَكَاةٍ وذِكرٍ لله جَلَّ وعَلا، وأمرٍ بالمعْرُوفِ ونَهيٍ عَنِ المنْكَرِ، وإحْسَانٍ إلى جَارٍ وَوجهٍ مُنْبَسِطٍ، وصُورٌ مِنَ العِبَادَةِ والتَّقَرُّبِ إلى الله سُبْحَانَهُ، يَقُولُ اللهُ سُبحَانَهُ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة الأنعام، الآية:

١٦٢)، وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « لا يَتَمَنَّى أحدُكُمُ المَوتَ ولا يَدعُ بِهِ مِنْ قَبلِ أنْ يَأتِيَهُ، إنَّه إذَا مَاتَ أحدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وإنَّهُ لا يَزيدُ المؤمِنَ عُمُرُهُ إلاَّ خَيراً » رواهُ مُسْلِمٌ في صَحِيحِهِ.

لأنَّ المؤمِنَ عِندَ الله تَبَارَكَ وتَعَالى لهُ مَنْزِلَةٌ سَامِقَةٌ، ودَرَجَةٌ رَفِيعةٌ فَهُو بِخَيرِ مَنْزلةٍ عِندَ رَبِّهِ تَبارَكَ وتَعَالَى، عَنْ أبي هُرَيرةَ رَضِي اللهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: « إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: (إنَّ المؤمِنَ بِمَنزِلَةِ كُلِّ خيرٍ، يَحمَدُني وأنَا أنزِعُ نَفْسَهُ مِنْ بينِ جَنْبيهِ)» رواه أحمدُ والبَزَّارُ بسَندٍ حَسَنٍ.

ومِنْ عِظَمِ حُرْمَةِ المؤمِنِ أنَّ حُرُمَتَهُ أعظَمُ مِنْ حُرْمَةِ البيتِ الحَرَامِ، يَقُولُ ابنُ عمرَ رَضِيَ اللهُ عنْهُما وهُوَ يَنْظُرُ

إلى الكَعْبَةِ: (ما أعْظَمَكِ وما أعْظَمَ حُرْمَتَكِ، والمؤمِنُ أعظَمُ حُرْمَةً عِندَ الله مِنْكِ).

ومِنْ عِظَمِ مَنْزِلَةِ المؤمِنِ أنَّ النَّبيَّ ﷺ أولَى النَّاسِ بِهِ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ، عَنْ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ مُؤمِنٍ إلاَّ وأنَا أولَى النَّاسِ بهِ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ، اقرؤُوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (سورة الأحزاب، الآية: ٦). فأيُّما مُؤمِنٍ تَرَكَ مالاً فَليَرِثْهُ مَنْ كانُوا، فإنْ تَركَ دَيْناً أو ضَيَاعًا فَليَأتِنِي فأنَا مَولاَه» رواه ابنُ مَاجَه وأبُو دَاودَ.

ولَمْ يُؤثَر عَنهُ ﷺ أنَّهُ دَعَا عَلَى قَومٍ مُعَيَّنِينَ إلاَّ قِلَّةً، ومِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ جَابِرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فأصَابَ رَجُلاً مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ في رأسِهِ ثُمَّ احْتَلَمَ،

فسأل أصْحَابَه فقَالَ: هَلاَّ تَجِدُونَ لي رُخْصَةً في التَّيَمم؟ فقَالُوا: ما نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وأنتَ تَقْدِرُ عَلَى الماءِ، فاغتَسَلَ فمَاتَ، فلمَّا قَدِمْنَا عَلى النَّبِيِّ ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ فقال: «قَتَلوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ، ألاَ سَأَلُوا إذْ لم يَعْلَمُوا فإنَّما شِفَاءُ العِيِّ السُّؤَالُ، إنَّمَا كَانَ يَكفيهِ أنْ يَتَيَمَّمَ...» رواه أبو داودَ وابنُ ماجَه بِسَندٍ صَحيحٍ، فَدَعَا عَليهمُ النَّبِيُّ ﷺ بأنْ يُهلِكَهُمُ اللهُ، لأنَّهُمْ تَسَبَّبُوا في قَتْلِ نَفْسٍ بَريئَةٍ، لأنَّهُمْ تَسَرَّعُوا في الفُتْيا.

أيُّها الناسُ: أرَأيتُمُ الدُّنْيَا ومَا فيهَا مُنذُ أنْ خَلقَ اللهُ آدَمَ إلى قِيامِ السَّاعَةِ: فإنَّ زَوَالها أهْوَنُ عِندَ الله مِنَ الإقْدَامِ عَلَى قَتلِ مَعْصومٍ، يَقُولُ ﷺ - كَمَا في سُنَنِ النَّسَائيِّ والتِّرمِذيِّ بسَنَدٍ صَحيحٍ - (لَزَوالُ الدُّنْيَا أهونُ عِندَ الله

مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ)، وقَالَ أيْضاً: (قَتْلُ المؤمِنِ أعْظَمُ عِنْدَ الله مِنْ زَوَالِ الدُّنْيا) رَوَاهُ النَّسَائيُّ.

بَلْ أشَدُّ مِنْ ذَلِكَ أنَّ الله حَرَّمَ تَرويعَ المؤمِنِ، فَكَيْفَ بِقَتْلِهِ، يَقُولُ النَّبيُّ ﷺ: (لا يَحِلُّ لِمُسلِمٍ أنْ يَرَوِّعَ مُسْلِماً) رَوَاهُ أبُو دَاودَ والتِّرمِذيُّ والبَيْهَقِيّ.

بَلْ رَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ أنَّ النَّبيِّ ﷺ قالَ: (سِبَابُ المؤمِنِ فُسُوقٌ وقِتَالُهُ كُفْرٌ، وحُرْمَةُ مَالِهِ كَحُرمَةِ دَمِهِ).

فَحُرمَةُ الدَّمِ وحُرْمَةَ المالِ جَعَلَها اللهُ لِمَنْ قَالَ: لا إلَهَ إلاَّ الله، مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله: يَقُولُ النَّبيُّ ﷺ: (إنَّ دِمَاءَكُمْ وأمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذا، في بَلَدِكُمْ هَذَا) رَوَاهُ مُسْلمٌ.

لكِنَّ المُصيبَةَ العُظْمَى الَّتي قَدْ لا يَجِدُ المرءُ مِنهَا مَخْرَجاً: إقْدَامُهُ عَلَى قَتْلِ أخِيهِ المُسْلِمِ بغَيرِ مُسَوِّغٍ شَرْعِيٍّ

يُوجِبُ ذَلِكَ، رَوَى أَبُو الدَّرْداءِ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (لا يَزَالُ المؤمِنُ مُعنِقاً صَالحاً مَا لم يُصِبْ دَماً حَرَاماً، فإذَا أَصَابَ دَماً حَرَاماً بَلَّحْ) رَوَاه أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ، يَعْني: لا يَزَالُ يَسيرُ بِسُرعَةٍ فإذِا أَصَابَ دَماً حَرَاماً انْقَطَعَ بِهِ السَّيْرُ.

عِبادَ الله: إنَّ هذِه الدُّنْيَا فُسحَةٌ للمُؤمِنِ يَنْتقِلُ فيهَا بَينَ أَنْوَاعِ الطَّاعةِ، ويَعُودَ إلى رَبِّهِ متَّى ما اقْتَرَفَ ذَنْباً أو خَطِيئةً، لكِنَّ الوَرْطَةَ العَظِيمَةَ التي يُوقِعُ المرْءُ فيهَا نَفْسَهُ، ولا يَسْتَطيعُ المخْرَجَ مِنهاَ أنْ يَصيبَ الدَّمَ الحَرَامَ، عنِ ابنِ عُمرَ رضيَ الله عَنْهُما قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: (لَنْ يَزَالَ المؤمِنُ في فُسْحَةٍ مِنْ دينِهِ مَا لـمْ يُصِبْ دَماً حَراماً) رَوَاهُ البُخَاريُّ، ورَوى البُخاريُّ أيضاً عَنْ عبدالله بنِ

عُمرَ أَنَّهُ قَالَ: "إنَّ مِنْ وَرَطاتِ الأمُورِ التي لا مَخْرَجَ لـمَنْ أوقَعَ نَفْسَهُ فيهَا سَفْكُ الدَّمِ الحَرَامِ بغَيرِ حِلِّهِ".

ورَوى أَبُو دَاودَ في سُنَنِهِ عَنْ عُبَادَةَ بنِ الصَّامتِ عَنْ رسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قالَ: (مَنْ قَتَلَ مُؤمناً فاغْتَبَطَ بِقَتْلِهِ لم يَقْبلِ الله مِنهُ صَرْفاً ولا عَدْلاً) ورُوِيَ (فاعْتَبَطَ)، والمعنى عَلى اللَّفْظِ الأوَّلِ: مَنْ قَتَل مُؤمناً وفَرِحَ بِقَتْلِهِ، وعلَى الرِّوايَةِ الثَّانيةِ: مَنْ قَتَلَ مُؤمِناً ظُلماً بغَيرِ قِصَاصٍ، لم يَقْبلِ اللهُ منْهُ نَافِلَةً ولا فَرْضاً.

ولا يَكْفي القَتلُ فَقَطْ بَلْ حتّى حَملُ السِّلاحِ وسَلُّ السَّيفِ علَى النَّفْسِ المؤمِنَةِ كُلُّهُ مِنَ الأمُورِ التي حَرَّمَهَا اللهُ ورَسُولُهُ، يَقُولُ ﷺ كَما في حَديثِ عبدالله بنِ عُمرَ عندَ البُخَاريِّ: (مَنْ حَمَلَ عَلَينا السِّلاحَ فَلَيْسَ مِنَّا) وفي حدِيثٍ آخَرَ: (مَنْ سَلَّ عَلَيْنَا السَّيْفَ فَلَيسَ مِنَّا).

كُلُّ تِلْكَ المَوَاعِظِ وتِلْكَ العِظَاتِ تَزْجُرُ أَصْحَابَ العُقُولِ عَن أَنْ يُقَدِمُوا عَلى أَفْعَالٍ يَنْدَمُونَ بَعدَهَا، ولكِن مَا هِيَ النَّتيجةُ: مَنْ قَتَلَ نَفْساً مؤمِنَةً بِغيرِ حَقٍّ فقَدْ جَاءهُ مِنَ الوَعيدِ مَا تَنَهدُّ لهُ الجِبَالُ الرَّاسيَةُ، عَنْ أنسِ بنِ مَالكٍ رَضيَ الله عَنهُ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: (أَبَى اللهُ أَنْ يجعَلَ لِقَاتِلِ المؤمِنِ تَوبَةً) وفي رِوَايَةٍ: (إنَّ الله عَزَّ وجَلَّ أَبَى عَلَى مَنْ قَتَلَ مُؤمِناً، ثَلاثَ مَرَّاتٍ) رَوَاهُ الطَّبَرانيُّ في الكَبيرِ والضِّيَاءُ في المُخْتَارَةِ.

إنَّ أَوَّلَ مَا يحكُمُ الله بِهِ بينَ العِبَادِ يَومَ القِيَامَةِ هِيَ الدِّمَاءُ، كَما جَاءَ ذلِكَ في البُخَاريِّ عَنْ عبدِ الله بنِ مَسعُودٍ.

أَيُّهَا الأَخْوَةُ: اعْلَمُوا جَميعاً أَنَّ قَتْلَ نَفسٍ مُؤمِنَةٍ ظُلماً بغيرِ حَقٍّ يُطَالَبُ بِهَا القاتِلُ ولَو بَلَغُوا كَثرَةً لا تَنْتَهي: روَى

التِّرمذيُّ في جَامِعِهِ والطَّبَرانيُّ في المُعْجَمِ الصَّغيرِ عَنْ أبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ الله عنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (لَوْ أنَّ أهْلَ السَّماواتِ والأرْضِ اشْتَرَكُوا في دَمِ مُؤمِنٍ كَبَّهُمُ الله عَزَّ وجَلَّ في النَّارِ).

ذَلِكَ أنَّ الذُّنُوبَ - عَدَا الشِّرْكَ بالله - فَإنَّ لِصَاحِبِهَا تَوبَةً، مَا عَدَا قَتْلَ النَّفْسِ المؤمِنَةِ بغَيرِ حَقٍّ، فقدْ جَاءَ فيهَا مِنَ الوَعيدِ مَا يَدُلُّ عَلَى تَغْليظِ العُقُوبَةِ، يَقُولُ الله سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾، وعَنْ أبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: (كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللهُ أنْ يَغْفِرَهُ إلاَّ مَنْ مَاتَ مُشْرِكاً أو مُؤمِناً قَتَلَ مؤْمِناً مُتَعَمِّداً) رَوَاهُ أبُو

دَاودَ بسَندٍ حَسَنٍ، ويَقُولُ ﷺ: (مَنْ لَقِيَ اللهَ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيئاً لم يَتَنَدَّ بِدَمٍ حَرَامٍ دَخَلَ الجَنَّةَ) رَوَاهُ ابنُ مَاجَه بِسَندٍ صَحيحٍ عَنْ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ.

وإنَّمَا لَمْ تُقْبَلْ تَوبَةُ القَاتِلِ لأَنَّهُ لابُدَّ أنْ يَقِفَ هوَ والـمَقْتُولَ بَينَ يدَي الله يومَ القِيَامَةِ يَقْتَصَّانِ: يَقُولُ ﷺ: (يُؤْتَى بالـمَقْتُولِ مُتَعَلِّقاً بالقَاتِلِ، وأَوْدَاجُهُ تَشْخُبُ دَماً حتَّى يَنْتَهي بِهِ إلى العَرْشِ يَقُولُ: يَا رَبِّ سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَني) رَوَاهُ التِّرمِذيُّ والنَّسَائيُّ وابنُ مَاجَه بسَندٍ صَحيحٍ.

عِبادَ الله: ولَيسَ الأمْرُ قَاصِراً عَلَى النَّفْسِ المؤمِنَةِ، بَلْ حتَّى الـمُعَاهَدَ فقدْ حَفِظَ الله لَهُ كَرامَتَهُ وحَقَّهُ وهُو مُشْرِكٌ غَيرُ مُؤمِنٍ، رَوَى البُخَاريُّ ومُسْلِمٌ عَنْ عبدِالله بنِ عُمرَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ قَتَلَ مُعَاهِداً لَمْ يَرَحْ

رَائحةَ الجَنَّةِ، وإنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أرْبَعينَ عاماً)، ويَقُولُ ﷺ: (مَنْ قتَلَ مُعَاهِداً في غَيرِ كُنْهِهِ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ) أخْرَجَهُ أبُو دَاودَ والنَّسَائيُّ وأحمدُ والحَاكِمُ.

ويَقُولُ ﷺ: (مَنْ قَتَلَ نَفْساً مُعَاهَداً بغيرِ حِلِّهَا حَرَّمَ الله عَلَيهِ الجَنَّةَ أنْ يَشُمَّ رِيحَهَا) رَوَاهُ أحمدُ والنَّسَائِيُّ والبَيْهَقيُّ.

كُلُّ مَا قَدْ سَمِعْتُمُوهُ هُوَ مِنْ تَكريمِ اللهِ لبَنِي البَشَرِ أنْ يَطَالَهُمْ مِنَ الـمُنْغِصَاتِ مَا لَيْسَ بِحَقٍّ، فَهَلْ يَعِي العُقَلاءُ.

أَقُولُ هَذَا القَولَ وأَسْتَغْفِرُ اللهَ...

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله حَقَّ حَمدِهِ، أفضَلَ مَا يَنْبَغِي لجَلاَلِ وَجْهِهِ وعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، وأشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ ورَسُولُهُ، صَلَّى الله عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تسْليماً كَثيراً إلى يَومِ الدِّينِ، أمَّا بَعدُ:

فَإنَّ مَنِ اتَّقَى الله زَرَعَ الخَشْيَةَ فِي قَلْبِهِ، فَخَافَهُ، وأقَامَ شَرِيعَتَهُ عَلَى مَا يُحِبُّ اللهُ ويَرْضَاهُ.

عِبادَ الله: رَوَى أبُو دَاودَ والنَّسائِيُّ والتِّرمِذيُّ وابنُ مَاجَه وغَيرُهُمْ قِصَّة عُثْمانَ بنِ عَفَّانَ لَمَّا حَاصَرَهُ الخَوارِجُ، الذِينَ كَانُوا مِنْ أشَدِّ النَّاسِ تَدَيُّناً، يَقُولُ أُسامَةُ بنَ سَهلٍ: كُنَّا مَعَ عُثْمانَ وهُوَ مَحْصورٌ في الدَّارِ، وكَانَ في

الدَّارِ مَدخَلٌ، مَنْ دَخَلَهُ سَمِعَ كَلامَ مَنْ عَلى البَلاَطِ، فَدَخَلَهُ عُثْمانُ فخَرجَ إلينا وهُوَ مَتَغَيِّرٌ لَونُهُ، فَقَالَ: إنَّهُمْ ليتَوَعَدُونَني بالقَتْلِ آنِفاً، قَالَ: قُلْنَا: يَكْفيكَهُمُ الله يَا أميرَ المؤمِنينَ، قَالَ: ولِـمَ يَقْتُلُونَني؟ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: (لا يَحِلُّ دَمُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ إلاَّ بإحدَى ثَلاَثٍ: كُفْرٌ بَعدَ إسْلامٍ، أو زِناً بَعدَ إحْصَانٍ، أو قَتْلُ نَفْسٍ بغَيرِ نَفْسٍ) فوَالله ما زَنَيتُ في جَاهِليةٍ ولا إسْلامٍ قَطُّ، ولا أحْبَبْتُ أنَّ لي بدِيني بَدَلاً مُنذُ هَدَانيَ اللهُ، ولا قَتَلْتُ نَفْساً، فَبِـمَ يَقْتُلُونَنِي.

وعَنْ أبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عنْهُ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: (إنَّ بَينَ يَدَي السَّاعَةِ لـهَرْجاً)، قَالُوا: ومَا الـهَرْجُ؟ قالَ: (القَتْلُ)، فقَالَ بَعضُ المسلِمينَ: يَا رَسُولَ الله: إنَّا نَقْتُلُ في

العَامِ الوَاحِدِ مِنَ المُشْرِكينَ كَذَا وكَذا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (ليسَ بِقَتْلِ المُشرِكينَ، ولَكِنْ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ، ويَقْتُلَ أخَاهُ، ويَقْتُلَ عَمَّه، ويَقْتُلَ ابنَ عَمِّهِ)، قَالُوا: ومَعَنا عُقُولُنَا يومئذٍ، قالَ: (إنَّه لَتُنْزَعُ عُقُولُ أكثرِ أهلِ ذَلِكَ الزَّمانِ، ويَخْلُفَ لَهُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ لا عُقُولَ لَهُمْ، يَحسِبُ أكثرُهُمْ أنَّهُم عَلى شَيءٍ ولَيْسُوا عَلَى شَيءٍ) رَوَاهُ ابنُ ماجَه وغَيرهُ بسندٍ حَسَنٍ.

أيُّها النَّاسُ: إنَّ مَا حَدَثَ مِنْ قَتْلٍ للأنْفُسِ المَعْصُومَةِ جَديرٌ أنْ يُوقِفَ أصْحَابَ العُقُولِ لِيُراجِعُوا أمُوراً كَثيرةً، فَمَا وَقَعَ مَا وَقَعَ إلاَّ نَتِيجَةَ جَهْلِ كَثيرٍ مِنَ النَّاسِ بِعِظَمِ هَذَا الذَّنْبِ، وهُوَ الإقْدَام عَلَى قَتْلِ مَنْ حَرَّمَ اللهُ قَتْلَهُمْ.

لَقَدْ أهملَ الآبَاءُ أبْنَاءَهُمْ ثِقَةً بِأصْحَابٍ صَاحَبُوهُمْ فَكَانَتْ نِهَايَتُهُمْ تِلكَ التي رَأيتُمْ: قَتْلٌ وسَفْكٌ وتَرويعٌ.

وإنَّ غَفلَةَ الأولِيَاءِ عَنْ بَعضِ التَّصَرُّفَاتِ السَّيِّئَةِ الصَّغيرَةِ وتَرْكِهَا حَتَّى كَبُرَتْ فَصَارَتْ إلى مَا رَأيْتُمْ.

فَاتَّقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ وعَظِّمُوا أمْرَهُ واجْتَنِبُوا نَهْيَهُ تَفُوزُوا وتُفْلِحُوا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ.....

الأمن والأمان مطلب الجميع

الحمدُ لله نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفرهُ ونَتُوبُ إليْهِ، ونَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يهدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَاديَ لهُ، وأشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله وحْدَهُ لا شَرِيْكَ لهُ، وأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تَسليماً كَثيراً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ

أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أمَّا بَعدُ: فاتَّقُوا الله عِبادَ الله حَقَّ التَّقْوى.

أيُّها المسْلِمُونَ: النَّاسُ في هَذِهِ الحَيَاةِ لهمْ مَآرِبُ شَتَّى وأحْوالٌ مُتَعدِّدَةٌ، تختَلِفُ أديَانُهم وتوجُّهَاتُهمْ، وتخْتَلِفُ رَغَباتُهمْ، إلاَّ أنَّ هُنَاكَ أمُوراً هُمْ جَميعاً مُجمِعُونَ علَى طَلَبِهَا والبَحْثِ عَنْهَا، بَلْ هِيَ غَايَةُ كثِيرٍ مِنْهُمْ، ويَظْهَرُ هَذَا الأمْرُ جَليّاً ووَاضِحاً في المَطْلَبِ الذِي يُكَابِدُ مِنْ أجلِهِ شُعُوبٌ، ويَسْعَى لتَحْقِيقِهِ فِئَامٌ كَثيرُونَ، إنَّهُ الأمْنُ عَلَى النَّفْسِ والمالِ والوَلَدِ.

الأمْنُ في الأوْطَانِ مَطلَبُ الكَثيرِ مِنَ النَّاسِ، بَلْ هُوَ مَطْلَبُ العَالَمِ بأسْرِهِ، حَيَاةٌ بِلا أمْنٍ لا تُسَاوِي شَيئاً، كَيفَ

يَعيشُ المرْءُ في حَالَةٍ لا يأمَنُ فيهَا عَلَى نَفْسِهِ حتَّى مِنْ أقْرَبِ النَّاسِ إليهِ، خَوفٌ وذُعْرٌ وهَلَعٌ وتَرَقُّبٌ وانْتِظَارٌ للغَدِ، لا يُفَكِّرُ الإنْسَانُ في شَيءٍ إلاَّ في حَالِهِ اليَومَ، لَيسَ عِنْدَهُ تَفْكيرٌ مُسْتَقْبَلٌ، ومَا كانَ ذَلِكَ إلا بِسَببِ فُقْدَانِ الأمْنِ.

عِبادَ الله: أوَّلُ مَطْلَبٍ طَلَبَهُ إبرَاهيمُ مِنْ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ هُوَ أنْ يَجْعَلَ هَذَا البَلَدَ آمِناً ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ ، ويَقُولُ في آيَةٍ أُخْرى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ ، فانْظُرُوا هَاتَينِ الآيَتَينِ، فإبْراهيمُ

طَلَبَ في الآيَةِ الأولَى تَحقيقَ الأمْنِ حَتَّى يَتحقَّقَ لهُ عِبادَةُ الله عَلَى الوَجْهِ الصَّحيحِ ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾، لأنَّ الإنْسانَ في حَالِ الفِتْنَةِ والقَلاقِلِ يَشْغَلُهُ الخَوفُ عِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ، ورُبَّمَا زَاغَ كَثيرٌ، ألمْ يُخبِر الرَّسُولُ ﷺ عَنْ أنَّ المُتَمسِّكَ بدِينهِ في آخِرِ الزَّمَانِ حِينَ تَكْثُرُ الفِتَنُ كالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ.

أمَّا الآيَةُ الثَّانيَةُ فطَلَبَ إبْراهيمُ تَحقيقُ الأمْنِ، ثُمَّ قالَ: ﴿ وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ لأنَّ بَلداً لا أمْنَ فِيهِ كَيفَ تَسْتقيمُ للنَّاسِ فِيهِ أرْزَاقُهُمْ، وهَذَا الوَاقِعُ أمَامَكُمْ مَا إنْ تُعْلَنُ حَرْبٌ أو فِتْنَةٌ في بَلَدٍ حَتَّى يَنْقُلَ أرْبَابُ الأمْوَالِ أمْوَالَهُمْ إلى بُلْدَانٍ أخْرَى، وما عَلِمُوا أنَّ الحِفَاظَ عَلَى النَّفْسِ أولَى مِنَ الحِفَاظِ عَلى المَالِ، فالنَّفْسُ تَزُولُ، والمالُ غَادٍ ورَائِحٌ، ولكِنْ ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾.

عباد الله: الأمْنُ مَطْلَبُ الجَميعِ، ولَقَدْ كَانَتْ قُرَيشٌ في الجَاهِليَّةِ جَعَلَتْ نَفْسَهَا مَسؤُولَةً عَنْ أمْنِ مَكَّةَ والحَجيجِ الوَافدينَ إليَها، حَتَّى إذَا جَاءَ حاجٌّ فتَعَامَلَ مَعَ أحَدِ المُقيمينَ في مَكَّةَ ثُمَّ ظَلَمَهُ حَقَّهُ، نَادَى هَذا الرَّجُلُ عَلَى أهْلِ مَكَّةَ بأعْلَى صَوتِهِ طَالِباً حَقَّهُ، فاجْتَمَعتْ قُرَيشٌ بأفْخَاذِهَا وقَبَائِلهَا في دَارِ عبدِالله بنِ جُدْعانَ، فتَحَالَفُوا عَلَى أنْ لا يُظْلَمَ في مَكَّةَ غَريبٌ ولا حُرٌّ ولا عَبدٌ إلا كَانُوا مَعَهُ، رَوَى البَيْهقيُّ وغَيرهُ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: (لَقَدْ شَهِدْتُ في دَارِ عبدِالله بنِ جدْعَانَ حِلْفَ الفُضُولِ، أمَا لَو دُعيتُ إليهِ اليَومَ لأجَبْتُ، ومَا أُحِبُّ أنْ لي بهِ حُمُرَ النَّعَمِ وأنِّي نَقَضْتُهُ).

ولما دَخَل رَسُولُ الله ﷺ إلى مَكَّة فاتحاً أمَرَ أنْ يُنَادِي مُنادٍ: مَنْ دَخَلَ المسجِدَ الحَرامَ فَهُوَ آمِنٌ، ومَنْ دَخَلَ دَارَهُ

فهُو آمِنٌ، ومَنْ دَخَلَ دَارَ أبي سُفْيانَ فَهُو آمِنٌ، لأنَّ النَّاسَ إذَا أمِنُوا عَلَى أنْفُسِهِمْ اطْمأنُّوا وزَالَ عنهُمُ الرُّعْبُ، وعَادَتْ إليهِمْ عُقُولهُمْ.

عبادَ الله: يَقولُ الله سُبْحَانَهُ: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ الخَوفُ والجُوعُ إذَا اجْتَمَعَا فإنَّ ذَلِكَ مِنْ شَرِّ عَذَابِ الدُّنْيا، لأنَّ الخَائِفَ إذَا كَانَ عِندَهُ مَا يَقْتَاتُ بِهِ أَمِنَ أو اسْتَخْفى، ولأنَّ الجَائعَ إذَا كانَ يَعيشُ آمِناً اسْتَطاعَ أنْ يَسيرَ في الأرْضِ ويَطْلُبَ الرِّزْقَ، ولهذَا امْتَنَّ اللهُ على قُرَيشٍ بِقَولِهِ: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴾.

ولَقَدْ عَاشَتْ هَذِهِ البلادُ قَبلَ أكْثَرَ مِنْ مائةِ عَامٍ صُوراً

مِنَ الخَوْفِ والذُّعْرِ، لم يَكُنْ للمَرْءِ أنْ يَتَصَوَّرَهَا الآنَ، لأنَّها صَارَتْ كالخَيَالِ، لكِنْ بَعْدَ أن اسْتَقَرَّ الوَضْعُ في هَذِهِ البِلادِ مِنْ عَشَراتِ السِّنينَ والبَلَدُ يَعيشُ أمْناً وارِفِ الظِّلالِ، مُتَّسِعَ الأطْرَافِ حَتَّى صَارَتْ مَثَلاً للأمْنِ والاسْتِقْرَارِ بَينَ البُلْدَانِ.

هَذَا البَلَدُ صَارَ مَقْصِداً لطُلاَّبِ الرِّزْقِ والعَمَلِ؛ لأنَّ أهَمَّ مُقَومَاتِ الحَيَاةِ مَوجُودَةٌ فيهِ، انْظُرُوا إلى بِلادٍ شَتَّى في العَالَمِ تَحْمِلُ صُوراً مِنَ الفَوضَى والخَوفِ الذي لَيسَ لَهُ حُدُودٌ، إنَّ مِنَ الأمُورِ المُقَرَّرَةِ عندَ أهلِ تِلْكَ البِلادِ أنَّ البَيتَ هُوَ المَكانَ الوحيدُ الذِي يُمكِنُ أنْ يأمَنَ المَرْءُ فيهِ عَلَى نفْسِهِ، وإذَا جَاءَ الليلُ فكأنَّ الأمْنَ ثَوبُ عَارِيَّةٍ خُلِعَ، لا يُؤمَنُ عَلى المَرءِ إذَا خَرَجَ مِنْ بَيتِهِ لَيلاً، فَكَيفَ بالسَّفَرِ!!

الأمْنُ أيُّهَا الأخْوَةُ مَطْلَبٌ أكيدٌ لا تستَقيمُ الحَيَاةُ بِدُونِهِ، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً في سِرْبِهِ، مُعافىً فِي بَدَنِهِ، عِندَهُ قُوتُ يَومِهِ ولَيلَتِهِ، فكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا) رواهُ التِّرمذيُّ.

أيُّها الأخوَةُ: إنَّ مَا حَصَلَ خِلالَ الأشْهُرِ المَاضِيَةِ مِنْ تَفْجيراتٍ ومَا أعْقَبَهَا مِنْ تَدَاعياتٍ كُلُّهَا مُؤذِنَةٌ بِخَطَرٍ عَظيمٍ، إذَا لم يُتَدَاركُ أوشَكَ أنْ تَعُودَ هذِهِ البِلادُ فِتناً وقَلاقِلَ.

مَاذا يَنْقِمُونَ مِنَ البِلادِ!! والأمْنُ فِيهَا مُسْتَتِبٌّ ووارِفٌ.

ماذَا يَنْقِمونَ مِنَ البِلاد!! ولَو رأوا غَيرَها مِنَ البُلْدانِ ورَأوا ما فِيهَا مِنْ فِتَنٍ وقَلاقِلَ لعَلِمُوا فَضْلَ هَذِه البِلادِ عَلَى غَيرِهَا.

ماذَا يَنْقِمُونَ مِنَ البِلادِ!! وشَعَائِرُ التَّوحيدِ والسُّنَّةِ فيهَا قَائِمَةٌ، وعَلامَاتُ الدِّينِ ظَاهِرَةٌ.

ماذَا يَنْقِمُونَ مِنَ البِلادِ!! وهِيَ رَاعِيَةُ الحَرَمينِ، ولم يَشْهَدِ الحَرَمَانِ اهتِماماً عَلَى مَرِّ التَّاريخِ مَا شهِدَاه في هَذِهِ الدَّولَةِ.

مَاذَا يَنْقِمُونَ مِنَ البِلادِ!! ولَم نَرَ فيهَا شِركاً ظَاهِراً، ولا قُبُوراً تُعْبَدُ، ولم نَرَ فيها خُرَافاتٍ، ولا بِدعاً ظَاهِرَةً.

ماذَا يَنْقِمُونَ مِنَ البِلادِ!! وهِيَ البِلادُ الوَحيدَةُ في الدُّنْيَا التي تُحَكِّمُ شَرْعَ الله، لكنَّه الحِقْدَ الدَّفينُ عَلى أَهْلِ الإسْلامِ، وإرادَةُ الفوضَى والشَّرِّ والفِتْنَةِ، إنَّ أولَئِكَ الأقْوامِ الذينَ خَرَجُوا – ونَسْألُ الله أنْ يَفْضَحَ بَاقيهِمْ – مَا هُمْ إلا صُورَةٌ مُتكَرِّرَةٌ للخَوَارِجِ الذينَ جَعَلُوا الخُرُوجَ عَلى الحُكَّامِ ومُنَازَعَتَهُمْ أمرَهُمْ هَدَفاً لَهُمْ.

يَقولُ ابنُ بَازٍ رحِمهُ الله: العَدَاءُ لهذِهِ الدَّولَةِ عَدَاءٌ للحَقِّ، عَدَاءٌ للتَّوحيدِ، أيُّ دَولَةٍ تَقُومُ بالتَّوحيدِ الآنَ؟؟؟ أيُّ دَولَةٍ مِنْ حَولِنَا، مِنْ جِيرانِنَا في مِصْرَ والشَّامِ والعِرَاق، مَنْ هَوَ الذي يَقُومُ بالتَّوحيدِ الآنَ ويُحَكِّمُ شَرِيعَةَ الله، ويهدِمُ القُبُورَ التي تُعْبَدُ مِنْ دَونِ الله، مَنْ؟ وأينَ هُمْ؟ أينَ الدَّولَةُ التي تَقُومُ بِهَذِه الشَّرِيعَةِ؟ أ.هـ.

وقَالَ ابنُ عُثَيمينَ رَحمهُ الله: إنَّ بِلاَدَنَا ولله الحَمدُ أقْوَى بِلادِ العَالَمِ الآنَ في الحُكْمِ بمَا أنْزَلَ الله عَزَّ وجَلَّ، يَشْهَدُ بذلِكَ القَاصِي والدَّاني، وقالَ أيضاً: لا يَضُرُّ السَّحَابَ نَبحُ الكِلابِ، لا يُوجَدُ والحَمدُ لله مِثلُ بِلادِنَا اليَومَ في التَّوحيدِ وتحكيمِ الشَّريعَةِ، وهِيَ لا تَخْلُو مِنَ الشَّرِّ كسَائِرِ بلادِ العَالَمِ، بَلْ حَتَّى المدينَةَ النَّبويَّة في عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ

وُجِدَ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ شَرٌّ، لَقَدْ حَصَلَتْ السَّرِقَةُ، وحَصَلَ الزِّنَا. أ.هـ

إنَّ أولَئِكَ الشَّبابُ الذينَ خَرَجُوا عَلَى الأمَّةِ هُمْ ثَمَرَةَ مَدَارسَ فِكْرِيَّةٍ خَطِيرةٍ، كَانُوا وَاجِهَةً لها، ليَكُونُوا هُمُ الضَّحِيَّةُ أمَامَ النَّاسِ.

إنَّ فِكْرَ التَّكْفِيرِ والخُرُوجِ عَلَى الحُكَّامِ هُوَ دَيدَنُ كَثِيرٍ مِنَ الجَمَاعاتِ الحَرَكِيَّةِ القَائِمَةِ عَلَى السَّاحَةِ اليَومَ، ومَنْ لهُ دِرَايَةً يَعرفُ مَا أقُولُ.

أيُّها النَّاسَ: إنَّ هذَا الفِكْرَ الذِي خَرَجَ بِهِ أولَئِكَ وأوصَلَهُمْ إلَى مَا رأيتُمْ مَا هُوَ إلاَّ حَصِيلَة شُبَهٍ وأوهَامٍ أكثَرُوا مِنْ تَدَاولِهَا حَتَّى صَارَتْ بَينَهُمْ مِنَ المُسَلَّماتِ، فاسْتَحَلُّوا بِهَا الدِّمَاءَ، وتَرْويعَ النُّفُوسِ، وإزْهَاقَ الأرْوَاحِ.

اللهُمَّ أَدِمْ عَلَيْنَا نِعْمَةَ الأمنِ والاطْمِئنَانِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وأَسْتَغْفِرُ الله فاسْتَغْفِرُوهُ إنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ.

الخطبة الثانية:

الحَمدُ لله عَلى إحْسَانِهِ، والشُّكْرُ لهُ عَلى تَوفِيقِهِ وامْتِنَانِهِ، وأشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهَ وَحْدَهُ لا شَريكَ له، وأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُولُهُ، صَلَّى الله عَلَيهِ وعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تَسْليماً كثيراً.

أمَّا بَعدُ: فاتَّقُوا الله عِبادَ الله حَقَّ التَّقْوى. ثُمَّ اعلَمُوا أنَّ الأمنَ هَوَ مَطْلَبٌ أكيدٌ لجَميعِ النَّاسِ، وكذَلِكَ لا يَقُومُ الأمنُ ويَستَقِرُّ إلاَّ بِتَعاونِ الجَميعِ، وإنَّ الوَاجِبَ عَلَى كُلِّ مُسلِمٍ أنْ يَسعَى جَاهِداً لِتَحْقيقِ الأمنِ في بَلَدِهِ، ويَكُونُ ذَلِكَ عَنْ طَريقِ أمْرَينِ:

الأوَّلُ: السَّمْعُ والطَّاعَةُ لِوُلاَةِ الأمُورِ الذِينَ لَهُمْ بَيعَةٌ فِي عُنُقِ المُسْلِمِ، ويَكُونَ ذَلِكَ في المَنْشَطِ والمَكْرَه،

فَهَذا الأمْرُ مِنْ آكَدِ مَا يَنْبَغِي السَّعْيُ إليهِ، إذْ هُوَ أصْلٌ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، يَقُولُ البربَهَارِيُّ رَحمه الله: مَنْ وَلِيَ الخِلافَةَ بإجْمَاعِ النَّاس ورِضَاهُمْ فهُوَ أميرُ المؤْمِنينَ، لا يَحِلُّ لأحَدٍ أنْ يَبيتَ لَيلَةً، ولا يَرَى أنْ لَيسَ عَليهِ إمامٌ، برّاً كَانَ أو فَاجِراً، هَكَذا قَالَ الإمَامُ أحمدُ. أ.هـ

ويَدُلُّ على ذَلِكَ أيضاً مَا رَواهُ مُسْلِمٌ أنَّ عبدَالله بنَ عُمرَ جَاءَ إلى عبدِالله بنِ مُطيعٍ حينَ كَانَ مِنْ أمرِ الحَرَّةِ مَا كَانَ زَمَنَ يَزيدِ بنِ مُعاويَةَ فقَالَ عبدُالله بنَ مُطيعٍ: اطْرَحُوا لأبي عَبدِالرَّحمنِ وِسَادةً فقَالَ: إنِّي لم آتِكَ لأجْلِسَ، أتَيتُكَ لأحَدِّثَكَ حَديثاً: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «من خَلَعَ يَداً مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ الله يومَ القيَامَةِ لا حُجَّةَ لهُ، ومَنْ مَاتَ ولَيسَ في عُنُقِهِ بَيعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهليَّةً»

ويَقُولُ ابنُ حَجَرٍ رَحمه الله: قَدْ أجمَعَ الفُقَهَاءُ عَلَى وُجُوبِ طَاعَةِ السُّلْطَانِ المتَغَلبِ، والجِهَادِ مَعَهُ، وأنَّ طَاعَتَهُ خَيرٌ مِنَ الخُرُوجِ عَلَيهِ، لما فِي ذَلِكَ مِنْ حَقْنِ الدِّمَاءِ، وتَسْكِينِ الدَّهْمَاءِ.

وإنَّمَا يبرُزُ تَطبيقُ المؤمِنِ لهَذَا الأصْلِ وقتَ الفِتَنِ والنَّوازِلِ، فَوقْتُ الرَّخَاءِ كُلٌّ يَدَّعِي السَّمْعَ والطَّاعَةَ.

الثاني: لُزُومُ طَاعَةِ الله سُبْحَانَهُ، فَهِيَ مِنْ أهمِّ مُقَوِّمَاتِ الأمنِ، يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾. وقد حَثَّ النبيُّ ﷺ عَلَى العِبادَةِ والإكْثَارِ مِنَ الطَّاعاتِ وَقْتَ الفِتَنِ، عَنْ مَعْقِلِ بنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: (العِبَادَةُ في الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إليَّ)، يَقُولُ النَّوَويُّ رَحِمَهُ

اللهُ: المُرَادُ بالهَرْجِ هُنَا الفِتْنَةُ واخْتِلاطُ أُمورِ النَّاسِ، وسَبَبُ كَثْرَةِ فَضلِ العِبَادَةِ فيهِ أنَّ النَّاسَ يَغْفَلُونَ عَنْهَا ويَشْتَغِلُونَ عَنْهَا ولا يَتَفَرَّغُ لهَا إلاَّ أفْرَادٌ. أ.هـ

فاتَّقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ والزَمُوا طَاعَتَهُ والتَّقَرُّبَ إليهِ، وكُونُوا قَائِمينَ بالأمْنِ سَاعِينَ إليهِ، وإيَّاكُمْ والنِّزَاعَ والشِّقاقَ، ومُخَالَفَةَ أمْرِ الجَمَاعَةِ.

اللهُمَّ صَلِّ عَلَى عَبدِكَ ورَسُولِكَ مُحَمَّدٍ.

الاعْتِداءُ عَلى رجالِ الأمْنِ

الحمدُ لله نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفرهُ ونَتُوبُ إليْهِ، ونَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنْفُسَنا ومِنْ سَيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يهدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَاديَ لهُ، وأشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحْدَهُ لا شَرِيْكَ لهُ، وأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تَسليماً كَثيراً.

أمَّا بَعدُ: فأوصِيكُمْ – أيُّهَا النَّاسُ – ونَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وجَلَّ، فَاتَّقُوا اللهَ – رحِمَكُمْ اللهُ – مَا اسْتَطَعْتُم، فَمَنْ ابْتَغَى غِنًى مِنْ غَيرِ مَالٍ، وعِزًّا بِغَيرِ جَاهٍ، ومَهَابَةً مِنْ غَيرِ سُلْطَانٍ، فَلْيَتَّقِ اللهَ، فَرَبُّكُمْ سُبْحَانَهُ مُعِزٌّ مَنْ أطَاعَهُ واتَّقَاهُ، ومُذِلٌّ مَنْ خَالَفَ أمْرَهُ وعَصَاهُ، سُبْحَانَهُ

وبِحَمْدِهِ، لا يَذِلُّ مَنْ وَالاهُ، ولا يَعُزُّ مَنْ عَادَاهُ، لا إلهَ غيرُهُ، ولا رَبَّ سِوَاهُ.

عِبادَ الله: الأمنُ مَطْلَبٌ عَزيزٌ وكَنْزٌ ثَمينٌ، هَوَ قِوامُ الحَياةِ الإنْسَانِيَّةِ كُلِّهَا، وأَسَاسُ الحَضَارَةِ المدَنيَّةِ أجْمَعِهَا، تَتطلَّعُ إليْهِ الـمُجْتَمَعَاتُ، وتَتَسَابَقُ لِتَحقيقِهِ السُّلُطَاتُ، وتَتَنَافَسُ في تأمينِهِ الحُكُومَاتُ، تُسَخَّرُ لَهُ الإمكَانَاتُ المادِيَّةُ والوَسَائِلُ العِلميَّةُ وأَنْوَاعُ الدِّرَاساتِ، وتُحشَدُ لَهُ الأَجْهِزَةُ الأَمْنِيَّةُ والعَسْكَرِيَّةُ، وتُسْتَنْفَرُ لَهُ الطَّاقَاتُ البَشَرِيَّةُ.

مَطْلَبُ الأمنِ يَسْبِقُ طَلَبَ الغِذَاءِ، بِغَيرِ الأمْنِ لا يُسْتَساغُ طَعَامٌ، ولا يهْنَأُ عَيشٌ، ولا يَلَذُّ نَومٌ، ولا يُنعَمُ بِراحَةٍ، قِيلَ لحكيمٍ: أينَ تجدُ السُّرُورَ؟ قَالَ: في الأمْنِ، فإنِّي وَجَدْتُ الخائِفَ لا عَيشَ لَهُ.

فِي ظِلِّ الأمْنِ تُحْفَظُ النُّفُوسُ، وتُصَانُ الأعْرَاضُ والأمْوَالُ، وتَأْمَنُ السُّبُلُ، وتُقَامُ الحُدُودُ، ويَسُودُ العِمْرَانُ، وتَنْمُو الثَّرَوَاتُ، وتَتَوافَرُ الخيرَاتُ، ويَكْثُرُ الحَرْثُ والنَّسْلُ، في ظِلِّ الأمْنِ تَقُومُ الدَّعْوَةُ إلى الله، وتُعمَرُ المسَاجِدُ، وتُقَامُ الجُمَعُ والجَماعَاتُ، ويَسُودُ الشَّرْعُ، ويَفْشُو المَعْروفُ، ويَقِلُّ المُنْكَرُ، ويَحْصُلُ الاستِقْرارُ النَّفْسيُّ والاطْمئنَانُ الاجْتِماعيُّ.

مَا قيمَةُ المالِ إذَا فُقِدَ الأمْنُ؟! مَا طِيبُ العَيشِ إذَا انْعدَمَ الأمْنُ؟! كَيفَ تَنْتَعِشِ مَنَاشِطَ الحَيَاةِ بِدُونِ الأمْنِ؟!.

الأمْنُ تَنْبَسِطُ مَعُهُ الآمَالُ، وتَطْمئنُّ مَعَهُ النُّفُوسُ على عَوَاقِبِ السَّعْيِ والعَمَلِ، وتَتَعدَّدُ أنشِطةَ البَشَرِ النَّافِعَةِ مَعَ الأمْنِ، ويَتَبادَلُونَ المصَالِحَ والمنَافِعَ، وتَكثُرَ الأعْمالُ

المتَنوِّعَةُ التي يحتَاجُ إليهَا النَّاسُ في حَيَاتِهِمْ، مَعَ الأمْنِ تُحقَنُ الدِّمَاءُ، وتُحفَظُ الأمْوالُ والحُقُوقُ، وتَتيسَّرُ الأرْزَاقَ، ويَعظُمُ العمْرَانُ، وتَسعَدُ وتَبتَهِجُ الحيَاةُ في جَميعِ مجَالاتِهَا مَعَ الأمْنِ.

عِبَادَ الله: الأمْنُ والدِّينُ مُتَلازِمانِ، بل لا يَسْتَقيمُ أمرُ الدِّينِ إلاَّ مَعَ وُجُودِ الأمنِ، لذلِكَ امْتَنَّ الله عَزَّ وجَلَّ في آيَاتٍ كَثيرةٍ عَلَى عِبَادِهِ بِنعْمَةِ الأمْنِ التِي يَسْتَقيمُ بهَا أمرُ الدِّين، إذْ لَولا الأمْنُ ما اسْتَقامَ للنَّاسِ عِبَادَةٌ، وانْظُرُوا قَولَ الرَّسُولِ ﷺ: (والله لَيُتِمَنَّ الله هَذَا الدِّينَ حَتَّى يَسيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعاءَ إلى حَضْرَمَوتَ لا يَخَافَ إلاَّ الله والذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ) رَواهُ البُخَاريُّ، وقَالَ أيضاً: (فوَالذِي نَفْسِي بِيدِهِ لَيُتِمَّنَّ الله هذَا الأمْرَ حَتَّى تخرُجَ

الظَّعينَةُ مِنَ الحيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بالبَيتِ مِنْ غيرِ جِوَارِ أحدٍ) رَوَاهُ أحمدُ والبيهَقِيُّ، وقال الله سُبْحَانَهُ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴾.

بلْ إنَّ إبْرَاهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ لـمَّـا دَعَا رَبَّهُ طَلَبَ مِنهُ تَحقيقَ الأمْنِ لتَتَحَقَّقَ لهمْ عِبَادَتُهمْ وتَتَحقَّقُ لهمْ أرْزَاقُهُمْ ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم

بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

لأَنَّهُ إذَا اضْطَرَبَ الأَمْنُ – عياذاً بالله – ظَهَرَتْ الفِتَنُ، وتَزَلْزَلَتِ الأمَّةُ، وتَخَلْخَلَتْ أرْكَانُها، وكَثُرَ الخَبَثُ، والتَبَسَ الحَقُّ بالبَاطِلِ، واسْتَعْصَى الإصْلاحُ عَلَى أهلِ الحَقِّ.

إذَا اخْتَلَّ الأمْنَ – عِياذاً بالله – حَكَمَ اللُّصُوصَ وقُطَّاعُ الطَّرِيقِ، وسَادَتْ شَرِيعَةُ الغُابِ، وعَمَّتِ الفَوضَى، وهَلَكَ النَّاسُ.

أيُّها الأخوَةُ: الأمْنُ لَيسَ كَلِمَةً تُقَالُ بالأَلْسُنِ ثمَّ بَعدَهُ تَسْتَقِيمُ الأمُورَ، بَلْ الأمْنُ يَحْتَاجُ إلى جُهْدٍ ومُصَابَرَةٍ، لا يَقُومَ الأمْنُ إلاَّ بِرِجَالٍ مُخلِصينَ وشَعْبٍ مُتَمَاسِكٍ مَعَ حَاكِمٍ يَقُومُ بأمرِ النَّاسِ.

يَقُولُ الإمَامُ الماوردِيُّ: لا بُدَّ للنَّاسِ مِنْ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ، تَأْتَلِفُ بِرُمَّتِهِ الأهويَةُ المخْتَلِفَةُ، وتجْتَمِعُ بهَيبَتِهِ القُلُوبُ المتفرِّقَةُ، وتَكُفُّ بسَطْوَتِهِ الأيدي المُتَغالِبَةُ، وتُقْمَعُ مِنْ خَوفِهِ النُّفُوسَ المتَعَانِدَةُ والمتَعَادِيَةُ، لأنَّ في طَبَائِعِ النَّاسِ مِنْ حُبِّ المُغَالَبَةِ والقَهْرِ لمَنْ عَانَدُوهُ مَا لا يَنْكَفُونَ عنهُ إلا بمَانِعٍ قَويٍّ، ورَادِعٍ مَلِيٍّ، قَالَ الشَّاعِرُ:

والظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ فإنْ تَجِدْ
ذَا عِفَّـــةٍ فَلِعِلَّـةٍ لا يَظْلِـمُ

والعِلَّةُ المانِعَةُ مِنَ الظُّلْمِ: عَقلٌ زَاجِرٌ أو دِينٌ حَاجِزٌ أو سُلْطَانٍ رَادِعٍ أو عَجْزٍ صَادٍ، وإذا تأمَّلْتَ لم تَجِدْ خَامِساً، ورَهْبَةُ السُّلْطانِ أبْلَغُهَا، لأنَّهُ رُبَّما كَانُوا مِشْغُوفينَ بِدَاعِي الهوَى فتكُونُ رَهْبَةُ السُّلْطانِ أشَدُّ زَجْراً وأقْوى رَدْعاً. أ.هـ

ولا يَسْتَقيمُ أمرُ السُّلْطانِ إلاَّ برِجَالٍ مُخْلصينَ، يَقُومُونَ مَعَهُ، يَحرُسُونَ البِلادَ، ويحمُونَ الثُّغورَ أنْ يَعْتَدي عَلَى المُسلمينَ مَنْ يُريدُ قَتْلَهُمْ، فَلا تَسْتَقيمُ للنَّاسِ حَياتُهُمْ، ولا يَسْتَقيمَ لهمْ أمْنُهُمْ بِدُونِهِمْ.

ولِذَلِكَ اتَّخَذَ النَّبيُّ ﷺ حَرَساً يحرُسُونَ المدينَةَ، فَقَدْ رَوَى البُخَاريُّ ومُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا تَقُولُ: أرِقَ النَّبيُّ ﷺ ذاتَ لَيلَةٍ فَقَال: (لَيتَ رَجُلاً صَالحاً مِنْ أصْحَابي يَحرُسُنِي اللَّيلَةَ)، إذْ سَمِعْنَا صَوتَ سِلاحٍ، فقَالَ: (مَنْ هَذَا؟) فقَالَ: أنَا سَعدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ جئتُ أحْرُسُكَ، فنَامَ ﷺ حَتَّى سَمِعْنَا غَطِيطَهُ، وفي رِوَايةٍ: فَدَعَا لهُ ﷺ.

وجَعَلَ ﷺ بَدِيلَ بنَ وَرْقَاء في حَرَسِ المدينَةِ، وكَانَ عبدُالرحمَنِ بنُ عَوفٍ أمينُ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى نِسَائِهِ في

السَّفر، وفي سيرَةِ ابنِ إسْحَاقَ: أنَّ سَعداً كَانَ عَلَى بابِ العَرِيشِ الذِي كانَ فيهِ رَسُولَ الله ﷺ مُتوشِّحاً بالسَّيفِ في نَفَرٍ مِنَ الأنْصَارِ يَحرُسُونَهُ، وحَرَسَهُ ﷺ حينَ أعْرَسَ بِصَفِيَّةَ يَومَ خَيبرَ أو ببعْضِ الطَّرِيقِ أبُو أيُوبَ الأنْصَارِيُّ، ورُوِيَ أنَّ عُمَرَ كانَ يحرُسُ النَّبيَّ ﷺ حينَ كانَ يُصَلِّي في الحِجْرِ في مَكَّةَ.

ولـمَّا خَرجَ ﷺ إلى بَدْرٍ جَعَلَ عبدَالله بنَ عُمَرَ وأوسَ بنَ ثَابتٍ وأوسَ بن عِرَابَةَ ورَافِعَ بنَ خَديجٍ حَرَساً عَلَى المدِينَةِ حَتَّى رَجَعَ.

وكَانَ إذَا نَزَلَ في المدِينَةِ فَزَعٌ كَانَ أوَّلَ الـمُنْجِدينَ لهَذَا الصَّوتِ هُوَ ﷺ، روَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ أنَسٍ رَضِيَ الله عَنْه قَالَ: كَانَ ﷺ أحْسَنَ النَّاسِ وأشْجَعَ النَّاسِ،

ولَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المدِينَةِ لَيلَةً، فخَرَجُوا نَحْوَ الصَّوْتِ فاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبيُّ ﷺ وقَدْ اسْتَبْرأ الخَبَرَ، وهُوَ عَلَى فَرَسٍ لأبِي طَلْحَةَ عُرِيٍّ، وفي عُنُقِهِ سَيفٌ، وهُوَ يَقُولُ: (لـمْ تُرَاعَوا لـمْ تُرَاعَوا) ثُمَّ قَالَ: (وَجَدْنَاهُ بَحْراً)، وفِي رِوَايَةٍ: (مَا رأيْنَا مِنْ فَزَعٍ).

وهَكَذَا كَانَ صَحَابَتَهُ مِنْ بَعْدِه، وعَلَى هَذَا سَرَتِ الأمَمَ إلى وَقْتِنَا هَذَا، لكِنَّ الله خَصَّ أُولئِكَ الأشْخَاصِ الذِينَ يَقُومُونَ بالأمْنِ والحِرَاسَةِ: أولَئكَ الأقْوَامِ الذِينَ بَذَلُوا أرْوَاحَهُمْ لِحِراسَةِ المُسْلِمينَ، خَصَّهُمُ الله بأجْرٍ عَظِيمٍ، يَقُولُ الله سُبْحَانَهُ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ يَقُولُ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمهُ الله: الـمُرَابَطَةُ هِيَ حِفْظُ ثُغُورِ المُسْلِمينَ

وصَيَانَتُهَا عَنْ دُخُولِ الأَعْدَاءِ إلى حَوزَةِ بِلادِ المُسْلِمينَ، أ.هـ، فكَيفَ إذَا كَانَ ذَلِكَ العَدُوّ مِنْ دَاخِلِ البَلَدِ!!

ولَقَدْ جَاءَتْ النُّصُوصُ الشَّرْعيَّةُ الكَثيرةُ في فَضْلِ عَمَلِ الـمُرَابِطينَ فِي سَبيلِ الله عَلَى ثُغُورِ الـمُسْلِمينَ: رَوَى البُخَاريُّ عَنْ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ رَضيَ اللهُ عنْهُ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: (رِبَاطُ يَومٍ فِي سَبيلِ الله خَيرٌ مِنَ الدُّنْيَا ومَا عَلَيْهَا)، ورَوى مُسْلِمٌ في صَحِيحِهِ عَنْ سَلْمَانَ الفَارسيِّ رَضِيَ الله عَنْهُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (رِبَاطُ يَومٍ ولَيلَةٍ خَيرٌ مِنْ صِيامِ شَهرٍ وقِيَامِهِ، وإنْ مَاتَ جَرَى عَلَيهِ رِزْقَهُ وأمِنَ الفَتَّانَ).

الرِّباطُ هَوَ العَمَلُ عَلَى حِرَاسَةِ الـمُسْلِمينَ، فَكَيفَ إذَا كَانَ فِي ذَلِكَ حِرَاسَةُ الـمُقَدَّساتِ؟ وكَيفَ إذَا كَانَ في

ذَلِكَ حَقْنٌ لِدِمائِهِمْ؟ كَيفَ إِذَا كانَ فِي ذَلِكَ مَنْعُ الظُّلْمِ عَنهُم؟

الرِّبَاطُ أفْضَلُ مِنَ الجِهَادِ، كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ جَمعٌ مِنَ العُلَمَاءِ؛ لأَنَّهُ بالرِّباطِ تُحْقَنُ دِمَاءُ المُسْلِمِينَ المُوَحِّدِينَ، ولَقَدْ وَرَدَ فِي الحديثِ الذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أبي صَالِحٍ مَولَى عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ قَالَ: سَمِعتُ عُثْمَانَ وهُوَ عَلَى المِنْبَرِ يَقُولُ: إِنِّي كَتَمْتُكُمْ حَديثاً سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَرَاهِيَةَ تَفَرُّقِكُمْ عَنِّي، ثُمَّ بَدَا لِي أنْ أُحَدِّثْكُمُوهُ لِيَخْتَارَ امْرُؤٌ لِنَفْسِهِ مَا بَدَا لَهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (رِبَاطُ يَومٍ فِي سَبيلِ اللهِ خَيرٌ مِنْ ألفِ يَومٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ المَنَازِلِ).

قَالَ المَنَاوِيُّ: والحديثُ يَدُلُّ عَلَى أنَّ الرِّبَاطَ أفْضَلُ لأَنَّهُ جَعَلَهُ الغَايَةَ التي يَنْتَهي إِليهَا أعْمَالُ البِرِّ، والرِّبَاطُ يَكُونُ

بِحَقْنِ دِمَاءِ المسْلِمينَ، والجِهَادُ يَكُونُ بسَفْكِ دِمَاءِ المُشْرِكينَ، فانْظُرْ مَا بَينَ الدَّمَينِ حتَّى يَصِحَّ لَكَ أفضَلُ العَمَلَينِ. أ.هـ وقَالَ أحدُ العُلَماءِ: ومَنْ يُسَوِّي بينَ مَنْ يَسْفِكُ دَمَهُ ليَحْمِيَ دِمَاءَ المسْلِمينَ، ومَنْ يَسْفِكُ دَمَهُ ليُرِيقَ دِمَاءَ المُشْرِكينَ.

عِبَادَ الله: إنَّ كُلَّ رَجُلٍ أمْنٍ يَعْمَلُ في بلادِ الإسْلامِ مَتَى مَا أخْلَصَ لله القَصْدَ فَهُوَ في رِبَاطٍ، مِنْ حينِ بَدَأ إلى أنْ يَفْجَأهُ الموتُ.

يَقُولُ الشيخُ ابن بازٍ رَحِمهُ الله: عَمَلُ المتَطَوِّعينَ فِي كُلِّ بَلَدٍ ضِدَّ الفَسَادِ مَعَ رِجَالِ الأمْنِ يُعْتَبرُ مِنَ الجِهَادِ في سَبيلِ الله، لـمَنْ أصْلَح الله نِيَّتَهُ، وهُوَ مِنَ الرِّبَاطِ في سَبيلِ الله؛ لأنَّ الرِّباطَ هُوَ لُزُومُ الثُّغورِ ضِدَّ الأعْدَاءِ،

وإذَا كَانَ العَدوُّ قَدْ يَكُونُ فِي البَاطِنِ احْتاجَ الـمُسْلِمُونَ أنْ يَتكاتَفُوا مَعَ رِجَالِ الأمْنِ ضِدَّ العَدوِّ الذِي يُخْشَى أنْ يَكُونَ فِي البَاطِنِ، يُرْجَى لهُمْ أنْ يَكُونُوا مِنَ الـمُرَابِطِينَ، ولَهُم أجرُ الـمُرَابِطِ لِحِمَايَةِ البلادِ مِنْ مَكَائِدِ الأعْدَاءِ الدَّاخِلِيِّينَ.

وهَكَذا التَّعاوُنَ مَعَ رِجَالِ الهيئَةِ الآمِرينَ بالمَعْرُوفِ النَّاهينَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُعْتَبَرُ مِنَ الجِهَادِ فِي سَبيلِ الله، فِي حَقِّ مَنْ صَلُحَتْ نِيَّتُهُ، لِقَولِ الله سُبحَانَه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ وقَولِ النَّبيِّ ﷺ: (مَا بَعَثَ الله مِنْ نَبِيٍّ فِي أمَّةٍ قَبْلِي إلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وأصْحَابٌ يأخُذُونَ بِسُنَّتِهِ ويَقْتَدُونَ بأمْرِهِ، ثُمَّ إنَّها تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولونَ مَا لا

يَفْعَلُونَ، ويَفْعَلُونَ مَا لا يُؤمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، ومَنْ جَاهَدَهمْ بِلِسَانِهِ فَهُو مُؤمِنٌ، ومَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، ولَيسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإيمانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ. أ.هـ

ألاَ فَلْيَعْلَمُ كُلُّ رَجُلِ أمْنٍ يَعْمَلُ لِحِراسَةِ هَذَا البَلَدِ أَنَّهُ مَتَى مَا أَخْلَصَ لله النِّيَّة فَهُوَ مُجَاهِدٌ في سَبيلِ الله.

أَقُولُ هَذَا القَولَ وأَسْتَغْفِرَ الله.

الخطبة الثانية:

الحَمْدُ لله عَلَى إحْسَانِهِ، والشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وأَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ تَعْظِيماً لشَأنِهِ، وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ ورَسُولُهُ، صَلَّى الله عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً إلَى يَومِ الدِّينِ، أمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا الله أيُّهَا النَّاسُ حَقَّ التَّقْوَى.

وإنَّ مَا حَصَلَ خِلالَ الأيَّامِ المَاضِيَةِ مِنْ قَتْلِ رِجَالِ الأمْنِ والاعْتِدَاءِ عَلَيهِمْ مَا هُوَ إلاَّ عَمَلٌ مُنْكَرٌ وجُرْمٌ شَنِيعٌ، ولَكُمْ أنْ تَتَأمَّلُوا الفَرْقَ بَينَ القَاتِلِ والمقْتُولِ: أمَّا رِجَالُ الأمْنِ فقَدْ قَالَ ﷺ فيما رَوَاهُ مُسْلِمٌ وأحْمَدُ: (كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إلاَّ الذِي ماتَ مُرَابِطاً فِي سَبيلِ الله، فإنَّهُ يُنَمَّى لهُ عَمَلُهُ إلَى يَومِ القِيَامَةِ، ويأْمَنُ فِتنَةَ القَبْرِ)، وعِندَ

ابن مَاجه: (مَنْ مَاتَ مُرَابِطاً فِي سَبيلِ الله أُجْرِيَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ الصَّالِحُ الذِي كَانَ يَعْمَلُ، وأجْرِيَ عَليْهِ رِزْقُهُ، وأُمِّنَ مِنَ الفَتَّانِ، وبَعُثَهُ الله يَومَ القِيَامَةِ آمِناً مِنَ الفَزَعِ).

يَقُولُ الطِّيبيُّ رَحِمهُ الله: أي يُقَدَّرُ لَهُ مِنَ العَمَلِ بَعْدَ مَوتِهِ كَمَا جَرَى مِنهُ قَبلَ المَمَاتِ، وأُجْرِيَ عَلَيهِ رِزْقُهُ، أي يُرْزَقَ في الجَنَّةِ كالشُّهَدَاءِ، ذَلِكَ إذَا قَصَدَ حِرَاسَةَ الدِّينِ ونُصْرَةَ المُسْلِمينَ وإعْلاءَ كَلِمَةِ الله.

أمَّا القَاتِلُ مِنْ هَؤلاءِ البُغَاةِ الخَارِجِينَ عَنِ الجَمَاعَةِ فقَدْ رَوَى التِّرمِذِيُّ وحَسَّنهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: (مَنْ أهَانَ سُلْطَانَ الله في أرْضِهِ أهَانَهُ الله) قَالَ أهْلُ العِلمِ: وَمِنْ إهَانَةِ السُّلْطَانِ إهَانَةَ جُنْدِهِ، وأيُّ إهَانَةٍ أعْظَمُ مِنَ القَتْلِ، فَلْيَنْتَظِرُ القَتَلَةُ لِرِجَالِ الأمْنِ الهَوانَ في الدُّنْيَا والهَوَانَ يَومَ

القِيَامَةِ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ بذلِكَ فقَال: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ.

تَعظيمُ الوُلاةِ وتقْديرُ العُلَماءِ

الحمدُ للهِ نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفرهُ ونَتُوبُ إليْهِ، ونَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنْفُسَنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يهدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَاديَ لهُ، وأشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحْدَهُ لا شَرِيْكَ لهُ، وأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تَسليماً كَثيراً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أَمَّا بَعدُ: فاتَّقُوا الله عِبادَ الله حَقَّ التَّقْوى، فتَقْوَى الله نِعْمَ الأَمَلُ، والإعْرَاضُ عَنْهَا بِئسَ العَمَلُ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: لَقَدْ خَلَقَ الله عِبَادَهُ عَلى الفِطْرَةِ السَّليمَةِ السَّوِيَّةِ، وبَعَثَ الرُّسُلَ لتَقْريرِهَا وتَكْميلِهَا، والنَّاشِئَةُ في بُكُورِ حَيَاتِهَا دِيوَانٌ مَفْتُوحٌ وسِجِلٌّ نَاصِعٌ، تَتَلَقَّى مَا يَرِدُ عَلَيْهَا مِنْ حَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ، أَرْضٌ تُنْبِتُ أَيَّ غِرَاسٍ مِنْ صَحيحِ العَقَائِدِ وفَاسِدِهَا، ومِنْ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ ومسَاوِئِهَا، (كُلُّ مَولُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ) رَوَاه البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ.

وإنَّ مَا مَرَّت به هَذِهِ البلادُ مِنْ فِتَنٍ وتَفْجيراتٍ وَقَتْلٍ وسَفْكٍ للدِّمَاءِ يُوجِبُ عَلَى المَرْءِ أَنْ يَبْحَثَ عَنِ العِلاجِ؛

لأنَّ الشَّجْبَ يَسْتَطِيعُهُ كُلَّ أحَدٍ، حَتَّى العَجَائِزَ والبُلَهَاءَ يَسْتَطيعُونَ شَجْبَ الخَطَأِ والتَّبَرُّؤَ مِنهُ، لكِنَّ العَاقِلَ هَوَ مَنْ يَبْحَثُ عَنْ المَرَضِ ليَبْحَثَ بعدَهُ عَنِ العِلاجِ. ألا وإنَّ العِلاجَ وَاضِحٌ للعَيَانِ يَشْتَرِكُ فيهِ كُلُّ أفْرَادِ المُجْتَمَعِ، وإنَّ عُقُولَ الشَّبابِ كَانَتْ ولا تَزَالَ هَدَفاً لأعْدَاءِ المُسْلِمينَ الذِينَ تَنَوَّعَتْ وسَائلُهُمْ ليُوقِعُوا الشَّبَابَ في شَرَكِهِمْ، وليَزُجُّوا بهِمْ في وَحَلِ الفِتَنِ تَارَةً، ويُلْقُوا عَلَيهِمْ الشُّبُهَاتِ تَارَةً أخْرَى، لِيَرُدُّوهُمْ ويُورِدُوهُم مُستَنْقَعَ الهَوَى والشَّهَواتِ، ويَغْرِقُوهُمْ في المُلْهِياتِ والمُحَرَّماتِ، لِذَا كانَ الحِمْلُ ثقِيلاً عَلَى الوالِدَين وأرْبَابِ التَّربيَةِ كَي يَقُودُوا الشَّبَابَ لجَادَّةِ الصَّوابِ، فالحِمْل ثَقيلٌ وضَررُ التَّفْريطِ أثْقَلُ، ولا أنْفَعَ بإذْنِ الله للشَّبَابِ

مِنَ التَّحَصُّنِ بعِلْمِ الشَّرِيعَةِ، يَزيدُ الإيمانَ، ويُنيرُ البَصيرَةَ، ويُهَذِّب النَّفْسَ، ويَرْفَعُ عَنْ دَنِيءِ الأفْعَالِ، طَالِبُ العِلْمِ مَنْظُومٌ فِي سِلْكِ العُظَمَاء، ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. سُلُوكُ طَرِيقِ العِلْمِ تَوفِيقٌ للوُصُولِ للجِنَانِ، والخَلْقُ عَنْ طَلَبَةِ العِلْمِ رَاضُونَ، ولِصَنِيعِهِمْ مُسْتَغْفِرُونَ، والمَلائِكَةُ لـمُجَالَسةِ أهْلِ العِلْمِ وطَلَبَتِهِ رَاغِبُونَ.

أيُّها الأخْوَةَ: إنَّ الوَاجِبَ عَلَى الأبِ أنْ يُغَذِّي أبْنَاءَهُ بالعِلْمِ الشَّرْعِيِّ الذِي يَكُونُ حَاجِزاً لهمْ أمَامَ كَثيرٍ مِنَ الفتَنِ والمُغْرِيَاتِ، فيَزْجُرَهُ عَنْ الإقْدَامِ عَلَى كَثيرٍ مِنَ المُحرَّمَات، ولَسْنَا نَعنِي هُنَا أنْ يَكُونُوا عُلَمَاءَ فَهَذَا أمرٌ لا

يَقْدِرُهُ كُلُّ أحدٍ، لَكِنْ نشِّئُوا في قُلُوبِهِمْ وهُمْ صِغَار تَعظِيمَ الحُرُمَاتِ، والمُحَافَظَةَ عَلَى الضَّرُورات الخَمْسِ التي أمَرَ الإسْلامُ بالمُحَافَظَةِ عَلَيهَا والدِّفَاعِ عَنْهَا: النَّفْسُ والعَقْلُ والمَالُ والعِرْضُ والدِّينُ.

إنَّ الشَّابَّ مَتَّى مَا نَشَأَ فِي ذِهْنِهِ هَذَا الأمْرُ فإنَّهُ لَنْ يُقْدِمَ عَلَى قَتْلِ مُسْلِمٍ بغَيرِ حَقٍّ، ولَنْ يُقْدِمَ عَلَى شُرْبِ مُسْكِرٍ، ولَنْ يُقْدِمَ عَلَى السَّبِّ والشَّتْمِ، ولا أكْلِ المالِ بِغَيرِ حِلِّه.

ألاَ وإنَّ مِنْ تَعْظِيمِ الشَّرِيعَةِ والدِّينِ تَعْظيمُ العُلَمَاءِ، فهُمْ خَلَفُ أنْبيَاءِ الله فِي دَعْوَتِهِمْ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: (وإنَّ العُلَمَاءَ ورَثَةُ الأنْبِيَاءِ) رَوَاهُ أحمدُ وأصْحَابُ السُّنَنِ، حَقٌّ عَلَى النَّاسِ تَبْجِيلُهُمْ وتَوقِيرُهُمْ، وعَلَى هَذَا سَارَ أسْلاَفُ هَذَا الدِّينِ، يَقُولُ الرَّبيعُ بنُ سُلَيْمَانَ: "ما

اجْتَرَأتُ أنْ أشْرَبَ الماءَ والشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إلَيَّ هَيبَةً لَهُ" فسُؤَالُهُمْ عِلْمٌ، ومُجَالَسَتِهِمْ سَعَادَةٌ، ومُخَالَطَتُهُمْ تَقْويمٌ للسُّلُوكِ، ومُلازَمَتُهُمْ حِفْظٌ للشَّبَابِ بإذْنِ الله مِنَ الزَّلَلِ، يَقُولُ مَيمُونَ بنُ مِهْرَانَ: "وَجَدْتُ صَلاحَ قَلْبِي فِي مُجَالَسَةِ العُلَمَاء".

ثَمَرَةُ مُجَالَسَةِ العُلَمَاءِ لَيسَتْ في التَّزَوُّدِ مِنَ العُلُومِ والمَعَارِفِ فَحَسْبْ، بلِ الاقْتِدَاءُ بِهِمْ في الهَدي والسَّمْتِ وعُلُوّ الهِمَّةِ ونَفْعِ الآخَرينَ عِلْمٌ آخَرَ، يَحْتَاجُ إلَيْهِ كُلَّ أحَدٍ، وبُعْدُ نَاشِئَةِ المسْلِمينَ عَنْهُمْ يُؤَدِّي إلى تَخَبُّطٍ في طَلَبِ العِلْمِ، وإعْجَابٍ بالرَّأي وقِلَّةٍ في التَعَبُّدِ.

وإنَّنا حينَ نَتكَلَّمُ عَنِ العُلَمَاءِ فَنَعْنِي بِهِمْ أهلَ الحَلِّ والعَقْدِ الذِينَ شَهِدَتْ لَهُمُ الأمَّةُ بالقَبُولِ والذِينَ وُكِلَ

إلَيْهُمُ الفَتْوَى فِي هَذِه البِلادِ، وإنَّهُ بِقَدْرِ بُعْدِ الشَّبَابِ عَنِ العُلَمَاءِ النَّاصِحينَ بِقَدْرِ مَا يَظْهَرُ مِنْ مُخَالَفاتٍ في السُّلُوكِ والتَّصَوُّرِ، ولـمَّا ضَعُفَ في قُلُوبِ النَّاشِئَةِ والشَّبَابِ خَاصَّةً تَوقيرُ العُلَمَاءِ حَتَّى وصَفُوهُمْ بِعُلَمَاءِ السُّلْطَانِ تَارَةً، أو بِعُلَمَاءِ السِّياسَةِ تَارَةً أُخْرَى، فكُلُّ هَذِهِ الأمُورِ تُوجِدُ عِندَ الشَّبابِ جَفْوَةً مِنْ عُلَمَاءِ الأمَّةِ، وبُعْداً عَنْ قَبُولِ الحَقِّ الصَّريحِ مِنْهُمْ، فَلِذَلِكَ ظَهَر مِنْ أفعَالِهِمْ مَا رأيتُمْ مِنْ تَخْريبٍ وتَدْميرٍ.

أيُّهَا الآبَاءُ والمُرَبُّونَ: إنَّ الواجِبَ عَلَيْكُمْ أنْ تَغْرِسُوا فِي قُلُوبِ النَّاشِئَةِ والشَّبابِ حُبَّ العُلَمَاءِ وتَوقِيرَهُمْ، والرُّجُوعَ إلَيْهِمْ، والأخْذَ عَنْهُمْ، فَلَقَدْ رَأيتُمْ نَتِيجَةَ أخْذِ أولَئِكَ الشَّبابِ عَنْ أنْصَافِ العُلَمَاءِ وتَرْكِهِمْ الأخْذَ عَنِ الكِبَار.

عِبَادَ الله: وإنَّ مِنَ الأمُورِ التي يَنْبَغِي عَلَى الأبِ والمُرَبِّي تَنْشِئَةَ النَّاشِئَةِ والشَّبابِ عَلَيْهَا السَّمْعُ والطَّاعَةُ لِوُلاةِ الأمْرِ، ذَلِكَ الأصْلِ الأصِيلِ الذِي لا يَستَقِيمُ أمْرُ النَّاسِ إلاَّ بِهِ، وتَجِدُونَ أهمِيَّةَ ذَلِكَ مِنْ خِلالِ تِلْكَ النُّصُوصِ العَظِيمَةِ التي جَاءَتْ في السُّنَّةِ النَّبوِيَّةِ تُوجِبُ طَاعَةَ الحَاكِمِ، وتُحَرِّمُ الخُرُوجَ عَلَيْهِ، ثُمَّ تأكِيدُ كَثِيرٍ مِنْ أهلِ العِلْمِ في كُتَبِهِمْ – خُصُوصاً كُتُبَ العَقِيدَةِ – عَلَى هَذَا المَبْدأ، ومَعَ ذَلِكَ خَرَج مَنْ زَيَّن للشَّبابِ والنَّاشِئَةِ إبَاحَةَ الخُرُوجِ عَلَى الحَاكِمِ ونَزْعَ الطَّاعَةِ مِنْهُ، ومَعَ فَدَاحَةِ هَذَا الأمْرِ وعَظِيمِ الضَّرَرِ الوَاقِعِ بِسَبَبِ الإخْلالِ بِهِ فقَدْ قَلَّ مَنْ يَتَحَدَّثُ عَنهُ مِنَ العُلَمَاءِ والخُطَبَاءِ والوَاعِظِينَ.

ألاَ وإنَّ مِنْ صُوَرِ التَّهْوِينِ مِنْ طَاعَةِ وُلاةِ الأمْرِ مَا قَدْ يَزْرَعُهُ الأبُ والمرَبِّي فِي نُفُوسِ النَّاشِئَةِ والشَّبَابِ مِنْ

خِلالِ أفْعَالٍ يَفْعَلُهَا دُونَ اكْتِرَاثٍ لِنَتَائِجِهَا: فَقِيادَةُ السَّيَّارةِ بسُرْعَةٍ مُتَجَاوِزَةٍ، وتَجَاوُزُ الإشَارَاتِ الضَّوئيَّةِ يَغْرسُ فِي نُفُوسِ الأبْنَاءِ الاسْتهتَارَ بأوَامِرِ وُلاةِ الأمرِ.

إنَّ الله عَزَّ وجَلَّ جَعَل للحَاكِمِ والأميرِ والوَالي سُلْطَةً بمُوجِبِ عَمَلِهِ دُونَ نَظَرٍ إلى ذَاتِهِ، فالوَاجِبُ عَلَى النَّاسِ احْترامُهَا، كَيفَ وَقَدْ جَاءتِ الشَّريعَةُ بالأمْرِ بهَا، فَقَدْ رَوَى التِّرمِذيُّ وحَسَّنَهُ عَنْ زِيَادِ بنِ كَسيبٍ العَدويِّ قَالَ: كُنتُ مَعَ أبي بَكْرَةَ تَحتَ مِنْبَرِ ابنِ عَامِرٍ وهُوَ يَخْطُبُ وَعَلَيهِ ثِيَابٌ رِقَاقٌ فقَالَ أبُو بِلالٍ: انْظُرُوا إلى أمِيرِنَا يَلْبَسُ ثِيَابَ الفُسَّاقِ، فَقَالَ أبُو بَكْرَةَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: "مَنْ أهَانَ سُلْطَانَ الله فِي الأرْضِ أهَانَهُ الله".

فالوَاجِبُ على الأبِ والمُرَبِّي أن يَسْتَشْعِرَ كَونَهُ قُدوَةً لأبنَائِهِ وطُلاَّبِهِ، فَليُعدِّلهم بِسُلُوكِهِ وعَمَلِهِ قبلَ أنْ يُعَدِّلهم بِقَولِهْ.

وَبَعْدُ: فَهَذِهِ بَعضُ مِنْ صَوَرِ العِلاجِ لَمَا وَصَلَ إليهِ واقِعُ الشَّبَاب، فَاتَّقُوا الله أيُّهَا النَّاسُ ورَاقِبُوهُ فِي أقْوَالِكُمْ وأفْعَالِكُمْ ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ أقُولُ هَذَا القَولَ وأسْتَغْفِرُ الله.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله رَبِّ العَالمينَ، لهُ الحَمْدُ في الأُولَى والآخِرَةِ، وهُوَ الوَلِيُّ الحَميدُ، وأشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله وحْدَهُ لا شَرِيْكَ لهُ، وأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ.

أمَّا بَعدُ: فاتَّقُوا الله أيُّهَا النَّاسُ تَفُوزُوا في الدُّنْيَا بالسَّعَادَةِ وفِي الآخِرَةِ بالجَنَّة وزِيَادَةٍ.

عِبَادَ الله: إنَّ النَّاظِرَ فِي تَعَاليمِ هَذَا الدِّينِ يَرَى أَنَّهُ جَاءَ بِكُلِّ مَا يُسْعِدُ البَشَرِيَّةَ جَمْعَاءَ، وأَنَّهُ مَتَى مَا سَارَ النَّاسُ عَلَى المَنْهَجِ القَوِيمِ فَلَنْ يَسْتَطِيعَ الأعْدَاءُ أنْ يَنَالُوا مِنْهُمْ، ومَنْ تأمَّلَ التَّارِيخَ وَجَدَ أنَّ أعْدَاءَ الإسْلامِ لا يَتَقوَّونَ عَلَى المُسْلِمينَ إلاَّ إذَا وَجَدُوا بَيْنَهُمْ خِلافاً ونِزَاعاً، يَقُولُ

المُعَلِّمِيُّ رَحِمَهُ الله فِي كِتَابِهِ التَّنْكِيل: وإنَّ حُبَّ الخُرُوجِ عَلَى وَلِيِّ الأمْرِ هُوَ شَقُّ لِعَصَا المُسلِمينَ، وتَفْرِيقٌ لِكَلِمَتِهِمْ، وتَشْتِيتٌ لجَمَاعَتِهِمْ، وتمزِيْقٌ لِوَحْدَتِهِمْ، وشَغْلٌ لهُمْ بِقَتْلِ بَعْضِهِمْ بَعَضاً، فَتِهِنُ قُوَّتُهُمْ وتَقْوَى شَوكَةُ عَدُوِّهِمْ، وتَتَعطَّلُ ثُغُورُهُمْ، فَيَسْتَولِي عَلَيْهَا الكُفَّارُ، ويَقْتُلونَ مَنْ فِيهَا مِنَ المُسْلِمينَ، ويُذِلُّونَهُمْ، وقَدْ يَسْتَحِكِمُ التَّنَازُعُ بَينَ المُسْلِمينَ فتكُونَ نَتيجَتُهُ الفَشَلُ المُخْزِي لهمْ جَميعاً، وقَدْ جَرَّب المُسْلِمُونَ الخُرُوجَ فَلَمْ يَرَوا مِنْهُ إلاَّ الشَّرَّ..أ.هـ

واعْلَمُوا أيُّهَا الأخْوَةُ أنَّ مِثلَ أولَئِكَ الذِينَ خَرَجُوا عَلَى الأمَّةِ لا حِوارَ مَعَهُمْ ولا نِقَاشَ، بَلِ القَتْلُ والسَّيْفُ، يَقُولُ الله سُبْحَانَهُ: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ

فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾.

قَالَ القَاضِي: أَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الخَوَارِجَ وأَشْبَاهَهُمْ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ والبَغْيِ مَتَى خَرَجُوا عَلَى الإِمَامِ وخَالَفُوا رَأْيَ الجَمَاعَةِ، وشَقُّوا العَصَا، وَجَبَ قِتَالُهُمْ بَعْدَ إِنْذَارِهِمْ والاعْتِذَارِ إِلَيْهِمْ. أ.هـ. أيْ بَعْدَ تَحْذِيرِهِمْ وتَهْدِيدِهِمْ، فَلاَ تَسْمَعُوا – عبادَ الله – فيمَنْ يُشَكِّكُ فِيمَا رَآهُ وَلِيُّ الأَمْرِ أَوْ يُخَطِّىءُ مَسْلَكَهُ فِي قِتَالِ مَنْ خَرَجَ عَلَيْهِ.

فَاتَّقُوا الله عِبادَ الله ثُمَّ صَلُّوا عَلَى رَسُولِ الهُدَى وإِمَامِ الوَرَى مُحَمَّدٍ فَقَدْ أَمَرَكُمُ الله بِذَلِكَ فَقَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾.

حُبُّ الوطَنِ والدِّفَاعُ عنهُ

الحمدُ لله نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفرهُ ونَتُوبُ إليْهِ، ونَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنْفُسَنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يهدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَاديَ لهُ، وأشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحْدَهُ لا شَرِيْكَ لهُ، وأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تَسليماً كَثيراً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾.

أمَّا بَعدُ: فاتَّقُوا الله عِبادَ الله حَقَّ التَّقْوى، ثُمَّ اعْلَمُوا أنَّ ابنَ آدَمَ لا يَسْتَطِيعُ الفَكَاكَ عَمَّا فَطَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ حُبٍّ أو بُغْضٍ، وقَدْ جَاءَ هَذَا الدِّينُ جَالِباً وَدَاعِماً لِكُلِّ خَيرٍ ومَنْفَعَةٍ، نَافِياً وَمُبْطِلاً كُلَّ شَرٍّ وضَرَرٍ.

ألاَ وإنَّ مِنَ الأمُورِ التِي فُطِرَ عَلَيْهَا الخَلْقُ كُلُّهُمْ حُبُّهُمْ لأوْطَانِهِمْ وحَنِينَهُمْ إلَيْهَا، فالإبِلُ تَحِنُّ إلَى أعْطَانِهَا، والطُّيُورُ تَحِنُّ إلَى أوْكَارِهَا، بَلْ حَتَّى الوُحُوشُ تَحِنُّ إلى غَابَاتِهَا وعَرِينِهَا، لَكِنَّ حَنينَ الإنْسَانِ إلى وَطَنِهِ وُحُبِّهِ لَهُ يَعْدِلُ ذَلِكَ كُلَّهُ، فَلَيْسَ عَلَى المَرْءِ عَيبٌ أنْ يَشْتَاقَ إلَى أحْبَابِهِ وخِلاَّنِهِ، وَيَحِنَّ إلَى وَطَنِهِ وبَلَدِهِ الذِي نَشَأَ وتَرَعْرَعَ فِيهِ.

عِبَادَ الله: حُبُّ الوَطَنِ والحَنينُ إليْهِ والدِّفَاعُ عَنْهُ وعَنْ حِمَاهُ أمْرٌ فَطَرَ الله عَلَيْهِ بَنِي آدَمَ، بَلْ يَجِدُ المَرْءُ مِنَ العَنَاءِ والمَشَقَّةِ والضَنكِ مَا لا يُوصَفُ عِندَ فِرَاقِهِ وَطَنَهُ، وبُعْدِهِ عَنْ أهْلِهِ ومَنَازِلِ صِبَاهُ:

كَمْ مَنْزِلٍ للمَرْءِ يَأْلَفُهُ الفَتَى

وحَنِينُهُ أبَداً لأوَّلِ مَنْزِلِ

يَقُولُ إبْرَاهيمُ بنُ أدْهَمَ رَحِمَهُ الله: عَالَجْتُ العِبادَةَ فَما وَجَدْتُ شَيئاً أشَدَّ عَليَّ مِنْ نِزَاعِ النَّفْسِ إلى الوَطَنِ، رَوَاهُ أبُو نُعَيْمٍ في الحِلْيَةِ، ورَوَى عَنْهُ أنَّهُ قَالَ: مَا قَاسَيْتُ فِيمَا تَرَكْتُ شَيئاً أشَدّ عَليَّ مِنْ مُفَارَقَةِ الأوطَانِ.

وَذَلِكَ لأنَّ حِكمَةَ الله اقْتَضَتْ أنَّ حُبَّ الوَطَنِ مُتَأصِّلٌ فِي النُّفُوسِ، حَتَّى وإنْ كَانَ ذَلِكَ البَلَدُ قَلِيلَ الخيرِ عَدِيمَ

الفَائِدَةِ، إلاَّ أنَّكَ تَجِدُ أهْلَهُ مُتَمَسِّكينَ بِهِ، ومَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ مِنهُ فإنَّهُ يَحِنُّ إلَيْهِ، حَتَّى مَعَ طُولِ العَهْدِ وَبُعْدِهِ، لِذَلِكَ رُوِي عَنْ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُ أنَّهُ يَقُولُ: لَولاَ حُبُّ الوَطَنِ لخَرِبَ البَلَدَ السُّوءُ، وقَال ابنُ حَمدُونَ: عَمَّرَ الله البُلدَانَ بِحُبِّ الأوطَانِ.

بَلْ لا زَالَتْ العَرَبُ تُنَادِي بِحُبِّهَا لأوطَانِهَا وشَوقِهَا إليهَا: يَقُولُ أبُو عَمرِو بنِ العَلاءِ: مِمَّا يَدُلُّ عَلَى حَرِيَّةِ الرَّجُلِ وَكَرَمِ غَريزَتِهِ حَنينُهُ إلَى أوطَانِهِ، وتَشَوُّقُهُ إلى مُتَقَدِّمِ إخْوانِهِ، وبُكَاؤُهُ عَلَى مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهِ، وقَالتِ العَرَبُ: الكَريمُ يَحِنُّ إلى جَنَابِهِ كَمَا يَحِنُّ الأسَدُ إلى غَابِهِ، وقَالت أيضاً: يَشْتَاقُ اللَّبِيبُ إلى وَطَنِهِ كَمَا يَشْتَاقُ النَّجِيبُ إلَى عَطَنِهِ.

فَلِماذَا أَيُّهَا النَّاسُ يَخْرجُ الشَّخْصُ مِنْ قَرْيَةٍ صَغيرَةٍ ويَنتَقِلُ إِلَى مَدِينَةٍ فِيهَا مِنَ الخَيرِ العَمِيمِ والنِّعَمِ الكَثيرَةِ الشَّيءَ الكَثيرَ، ومَعَ ذَلَكَ تَجدْهُ تَتَسَابَقُ عَبَراتُهُ إِذَا ذُكِرَ مَنْزِلُهُ الأَوَّلُ الذِي مِنْهُ خَرَجَ، كُلُّ ذَلِكَ لأَنَّنَا مَفْطُورُونَ عَلَى حُبِّ أَوْطَانِنَا، قِيلَ لأَعْرَابِيٍّ: أَتَشْتَاقُ إِلَى وَطَنِكَ؟ فَقَالَ: كَيْفَ لا أَشْتَاقُ إِلى رَمْلَةٍ كُنْتُ جَنينَ رُكَامِهَا ورَضِيعَ غَمَامِهَا، بَلَدٌ أَيُّهَا الأَخْوَةُ لا تُؤثِرُ عَلَيهِ بَلداً، ولا تَصْبِرُ عَنْهُ أبداً، هُوَ عُشُّكَ الذِي فِيهِ دَرَجْتَ، ومِنْهُ خَرجْتَ، مَجْمَعُ أُسْرَتِكَ، ومَقْطَعُ سُرَّتِكَ، بَلَدٌ أَنْشَأَتْكَ تُرْبَتُهُ، وغَذَّاكَ هَوَاؤُهُ، ورَبَّاكَ نَسِيمُهُ، بَلَدُ الأَهْلِ والأَقَارِبِ، بَلَدُ الأَصْحَابِ والخِلاَّنِ، بَلَدٌ إِذَا تَذَكَّرتُهُ تَذَكَّرْتَ حَياةً فَسِيحَةً وآمَالاً بَعِيدَةً، يَقُولُ ابنُ الرُّومِيِّ:

وحَبَّبَ أوطَانَ الرِّجَالِ إليهِمُ

مَآرِبُ قَضَّاهَا الشَّبابُ هُنَالِكَ

إذَا ذَكَرُوا أوطَانَهُمْ ذَكَّرَتْهُمُ

عُهُودَ الصِّبَا فِيهَا فَحَنُّو لِذَلِكَ

فَقَدْ أَلِفَتْهُ النَّفْسُ حَتَّى كَأَنَّهُ

لَهَا جَسَدٌ إنْ بَانَ غُودِرَ هَالِكَا

عِبَادَ الله: إنَّ بَعضَ البُلْدَانِ قَلِيلَةَ الأمْطَارِ، شَدِيدَةَ الحَرِّ، كَثِيرَةَ الأوبِئَةِ، ومَعَ ذَلِكَ لا يَعْدِلُ بِهَا أهْلُهَا جَنَّاتٍ في الأرْضِ وأنْهَاراً، يَقُولُ شَاعِرٌ قَدِيمٌ:

وَكُنَّا أَلِفْنَاهَا ولَمْ تَكُ مَأْلَفاً

وقَدْ يُؤلَفُ الشيءُ الذي ليسَ بالحَسَنْ

كَمَا تُؤلَفُ الأرْضَ التي لم يطِبْ بِهَا

هَوَاءٌ ولا مَاءٌ ولا كَنَّهَا وَطَنْ

وذَكَرَ يَاقُوتُ الحَمَويُّ فِي مُعْجَمِ البُلْدَانِ كَلاماً عَنْ حُبِّ النَّاسِ لأوْطَانِهِمْ، حَتَّى وإنْ كَانَتْ قَدْ جَمَعَتِ المَسَاوِئَ والمَضَارَّ، فَقَالَ عَنْ بَلْدَةِ تَبْسَةَ فِي أفْرِيقِيَا: وَقَدْ خَرِبَ الآنَ أكثَرُهَا ولَمْ يَبْقَ بِهَا إلاَّ مَواضِعُ يَسْكُنُهَا الصَّعَاليكُ لحُبِّهِمْ وَطَنَهُمْ، لأنَّ خيرَهَا قَلِيلٌ، وَوَصَفَ رَصَافَةَ الشَّامِ بأنَّهَا بَلدُ طَاعُونٍ، ومَاؤُهَا مَالِحٌ رَدِيءٌ، وأهلُهَا يُؤدُّونَ خَفَارَةً لجِيرَانِهِمْ، وهِيَ فِي وَسَطِ الصَّحْرَاءِ ثُمَّ قَالَ: ولَولا حُبَّ الوَطَنِ لخَرِبَتْ، وَوَصَفَ بَلْدَةَ سِيرَاف فقَالَ: وَلَقَدْ رَأيتُهَا وَلَيْسَ بِهَا قَومٌ إلاَّ صَعَالِيكُ مَا أوجَبَ لهُمُ المُقَامُ بِهَا إلاَّ حُبُّ الوَطَنِ. وذَكَر السُّبْكِيُّ فِي طَبَقَاتِ الشَّافِعيَّةِ: أنَّ أحمَدَ بنَ عبدِالله المغَفَّلِيِّ كَتَبَ مُؤلَّفاً عَنْ حُبِّ الوَطَنِ فَمَرِضَ بَعْدَهُ أسْبُوعاً ثُمَّ مَاتَ، فَسُمِّي: قَتيلُ حُبِّ الوَطَنِ.

إنَّ حُبَّ الوَطَنِ أيُّهَا الإخْوَةُ أمرٌ فُطِرَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ وجَاءَتِ الأدِلَّةُ الشَّرْعِيَّةُ تُؤكِّدُهُ وتَأمُرُ بِهِ، فِي آيَاتٍ وأحَادِيثَ وآثَارٍ للسَّلفِ، لكِنْ لـمَّا تَكَلَّمَ عَنْ الوَطَنِ قَومٌ لهُمْ مآرِبُ أُخْرَى نَسِيَ النَّاسُ أنَّ الكَلامَ عَنِ الوَطَنِ وُحُبِّه جَاءَ بِهِ الإسْلامُ قَبلَ هَؤلاءِ الأقْوَامِ، فإليْكُمْ بَعْضاً مِمَّا وَرَدَ فِيهِ: رَوَى البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَرَأى دَرَجَاتِ المَدينَةِ أوضَعَ نَاقَتَهُ، أي أسْرَعَ بِهَا، قَالَ ابنُ حَجَرٍ في فَتْحِ البَارِي: فِيهِ دِلالَةٌ عَلَى مَشْرُوعيَّةِ حُبِّ الوَطَنِ والحَنينِ إلَيْهِ.

وَجَاءَ فِي البُخَاريّ ومُسْلِم في قَصَّةِ بِدَايَةِ نُزُولِ القُرآنِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَذَهَابِهِ إلَى وَرَقَةَ بنِ نَوْفَلٍ، وقَولِ وَرَقَةَ للنَّبيِّ ﷺ: لَيتَنِي أكُونُ مَعَك إذْ يُخْرِجُكَ قَومُكَ،

فَقَالَ ﷺ: (أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟) يَقُولُ السُّهَيلِيُّ: يُؤخَذُ مِنهُ شِدَّةُ مُفَارَقَةِ الوَطَنِ عَلَى النَّفْسِ، فإنَّه ﷺ سَمِعَ قَولَ وَرَقَةَ أَنَّهُمْ يُؤذُونَهُ ويُكَذِّبُونَهُ فَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ انْزِعَاجٌ لِذَلِكَ، فلمَّا ذَكَر لهُ الإخْرَاجَ تَحَرَّكَتْ نَفْسُهُ لِذَلِكَ لِحُبِّ الوَطَنِ وإلفِهِ.

ولـمَّا جَاءَ الصَّحَابَةُ إلَى المَدِينَةِ أصَابَتْهُمْ الحُمَّى حَتَّى بَلَغَ بِبَعْضِهِمْ إلَى الهَذَيانِ مِنْ شِدَّتِهَا عَلَيْهِمْ، فقَالَ ﷺ: (اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أو أشَدَّ) وسَألَ الله أنْ يَنْقُلَ حُمَّاهَا إلَى مَكَانٍ آخَرَ، قَالَ السُّهَيْلِيُّ أيْضاً: وَفِي هَذَا الخَبَرِ وَمَا ذُكِرَ مِنْ حَنِينِهِمْ إلَى مَكَّةَ مَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ مِنْ حُبِّ الوَطَنِ.

وَجَاءَ فِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ وغَيرِهِ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إذَا أرَادَ أنْ يَرقِيَ مَرِيْضاً بَلَّ أُصْبُعَهُ بِرِيقِهِ، ثُمَّ وَضَعَهُ عَلَى

التُّرَابِ، ثُمَّ مِسَحَ بِهِ المَرِيضَ، ثُمَّ قَالَ: (باسْمِ الله، تُرْبَةُ أرضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بإذْنِ رَبِّنَا)، وهَذَا الحدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى أنَّ الإنْسَانَ مُتَعَلِّقٌ بِوَطَنِهِ تَعَلُّقاً شَدِيداً حَتَّى أَنَّهُ يَمْرَض إذَا فَارَقَهُ، كَمَا مَرِضَ الصَّحَابَةُ لَمَّا فَارَقُوا بَلَدَهُمْ مَكَّة، غَيرَ أنَّ العِلاجَ الذِي سَلَكَهُ النَّبِيُّ ﷺ يَزِيدُ مِنْ ذَلِكَ.

قَالَ القَاضِي – وذَكَرَ هَذَا الكَلاَمَ البَيضَاوِيُّ وابنُ حَجَرٍ فِي الفَتْحِ: شَهِدَتِ المَبَاحِثُ الطِّبِّيَّةُ عَلَى أنَّ الرِّيقَ لَهُ دَخْلٌ فِي النُّضْجِ وَتَبْدِيلِ المَزَاجِ، ولتُرَابِ الوَطَنِ تأثِيرٌ فِي حِفْظِ المَزَاجِ الأَصْلِيِّ، ودَفْعِ نِكَايَةِ المُغَيِّرَاتِ، ولهَذَا ذَكَرُوا فِي تَدْبِيرِ المُسَافِرِ أَنَّهُ يَسْتَصْحِبُ مَعَهُ تُرَابَ أَرْضِهِ إنْ عَجِزَ عَنْ اسْتِصْحَابِ مَائِهَا، حَتَّى إذَا وَرَدَ غَيرَ الماءِ الذِي تَعَوَّدَ شُرْبَهُ ووَافَقَ مِزَاجَهُ، جَعَلَ شَيئاً مِنهُ فِي سِقَايَتِهِ، ويَشْرَبُ

الماءَ مِنْ رَأسِهِ ليَحْفَظَ عَنهُ مَضَرَّةَ الماءِ الغَرِيبِ ويأمَنَ تَغَيُّرَ مِزَاجِهِ بِسَبَبِ اسْتِنْشَاقِ الهَوَاءِ المُغَايِرِ للهَواءِ المُعْتَادِ أ.هـ

وذَكَرَ الجَاحِظُ فِي كِتَابِهِ الحَنِينِ إلى الأوْطَانِ: أنَّ بَعضَ البَرَامِكَةِ إذَا سَافَرَ أخذَ مَعَهُ تُرْبَةَ مَورِدِهِ في جُرَابٍ يَتدَاوَى بِهِ، بَلْ هَذَا الأمْرُ وهُوَ تَأثيرُ فُقْدَانِ الإنْسَانِ لِوَطَنِهِ عَلَى صِحَتِهِ لا يَزَالُ مَعْرُوفاً، ولا زَالَ بَعضَ النَّاسِ خُصُوصاً كِبَارَ السِّنِّ والعَجَائِزِ يَفْعَلُونَ مِثلَ هَذَا الأمرِ، وَلَيسَ هَذَا مِنَ التَّبرُّكِ المَنْهيِّ عَنهُ، بَلْ هُوَ مِنَ التَّدَاوي المَشْرُوعِ، فقَدْ قَالَ ﷺ: (تَدَاوَوا عِبادَ الله ولا تَتَدَاوَوا بِحَرَامٍ).

ومِنَ الأدِلَّةِ عَلَى أنَّ حُبَّ الوَطَنِ أمرٌ مَشْرُوعٌ أنَّ البَلَدَ المُسْلِمَ إذَا دَهَمَهُ عَدُوٌّ كَافِرٌ وَجَبَ على كُلِّ أهلِ البَلَدِ الدِّفَاعُ عَنْهُ وَصَارَ الجِهَادُ فَرضَ عَينٍ عَلَيْهِمْ، لا يَجُوزُ

لأحَدٍ تَرْكُ الدِّفَاعِ عَنْ وَطَنِهِ الْمُسْلِمِ، كَمَا هُوَ نَصُّ الْفُقَهَاءِ فِي كُتُبِ الفِقْهِ فِي جَمِيعِ الْمَذَاهِبِ، وقَدْ قَالَ الله عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ﴾.

بَلْ إِنَّهُ لا يُوجَدُ شَخْصٌ مُسْلِمٌ تَغَذَّى بِهَذَا الدِّينِ إلاَّ وَهُوَ يُحِبُّ وَطَنَهُ ويَحِنُّ إليهِ، فَهَذَا أَنْتُمْ قَدْ تُسَافِرُونَ مِنْ هَذَا البَلَدِ وتَذْهَبُونَ إلى بُلْدَانٍ أجملُ أرْضاً، وأعْدَلُ مُناخاً، وألْطَفُ مِزَاجاً، ومَهمَا رَاقَ لَكُمْ المَكَانُ، واسْتَعْذَبتُمُ الهَواءَ، إلاَّ أَنَّكُمْ إذَا طَالتْ بِكُمُ المُدَّةُ اشْتَقْتُمْ إلَى بَلَدِكُمْ الذِي سَافَرْتُمْ مِنْهُ، ولَيسَ هَذَا عَيباً بَلْ هُوَ مِنْ تَمَامِ العَقْلِ ونُضْجِهِ، يَقُولُ أحدُ السَّلَفِ: مِنْ عَلاَمَةِ العَاقِلِ بِرُّهُ بإخْوَانِهِ، وحَنِينُهُ إلَى أوْطَانِهِ، ومُدَارَاتُهُ لأهْلِ

زَمَانِهِ، وقَالَ الجَاحِظُ: قَالَ العَجَمُ: مِنْ عَلاَمَةِ الرُّشْدِ أنْ تَكُونَ النَّفْسُ إلى مَولِدِهَا مُشْتَاقَةً، وإلى مَسْقَطِ رَأسِهَا تَوَّاقَةً، وقَالَ أحدَهُمْ: يَحِنُّ اللَّبِيبُ إلَى وَطَنِهِ كَمَا يَحِنُّ النَّجِيبُ إلى عَطَنِهِ، وقَالَ أعْرَابِيٌّ: إذَا أرَدْتَ أنْ تَعْرِفَ الرَّجُلَ فانْظُر كَيفَ تَحْنُّهُ إلى أوطَانِهِ، وتَشَوُّقُهُ إلى إخْوَانِهِ، وبُكَاؤُهُ عَلَى مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهِ.

ذَكَرْتُ بِلادِي فَاسْتَهَلَّتْ مَدَامِعِي
بِشَوقٍ إلى عهدِ الصِّبَا المُتَقَادِمِ
حَنَنتُ إلى رَبْعٍ بِهِ أخْضَرَّ شَارِبِي
وَقُطِّعَ عَنِّي قَبلَ عَقدِ التَّمائِمِ

ومِمَّا جَاءَ في الأدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى أنَّ حُبَّ الوَطَنِ مَشْرُوعٌ مَا وَرَدَ مِنْ العُقُوبَاتِ التَّعْزِيريَّةِ في التَّغْرِيبِ عَنِ الوَطَنِ،

وإذَا أُكْرِهَ الإنْسَانُ عَلَى أمْرٍ أو يُطْرَدُ مِنْ بَلَدِهِ جَوَّزَ لَهُ العُلَمَاءُ الْتِمَاسَ المعَاذِيرِ، وأنَّهُ يَدْخُلُ في قَولِ الله سُبْحَانَهُ: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ يَقُولُ السُّيوطِيُّ رَحمهُ الله: والتَّهْدِيدُ بالنَّفْيِ عَنِ البَلَدِ إكْرَاهٌ عَلَى الأصَحِّ، لأنَّ مُفَارَقَةَ الوَطَنِ شَديدَةٌ. أ.هـ

وقَالَ الله سُبْحَانَهُ عَنِ المُحَارِبِينَ وقُطَّاعِ الطَّرِيقِ: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ قالَ الشَّافِعِيُّ: يَكْفِيهِ مُفَارَقَةُ الوَطَنِ والعَشِيرَةِ خُذْلاناً وَذُلاً، وكَذَلِكَ جَعَلَ الشَّارِعُ عُقُوبَةَ الزَّانِي البِكْرِ أنْ يُبْعَدَ عَنْ وَطَنِهِ كَي يَتَجَرَّعَ مَرَارَةَ الذَّنْبِ الذِي وَقَعَ فِيهِ.

بَلْ إنَّهُ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ عُقُوبَةٌ أَشَدَّ عَلَى الإنْسَانِ مِنْ حِرْمَانِهِ وَطَنَهُ، بَلْ إنَّهَا أعظَمُ مِنَ القَتْلِ والسَّبي، ولذَلِكَ اسْتَخْدَمَها المُشْرِكُونَ في حَرْبِ أَنْبِيَاءِ الله ورُسُلِهِ، فَانْظُرُوا أحْوالَ الأنْبِيَاءِ والمُرْسَلينَ، فَمَا إنْ يُعْلِن نَبيٌّ دِينَهُ ويَدعُو إليهِ إلاَّ وَيَطْرُدُهُ قَومُهُ مِنْ بَلَدِهِمْ تَعذِيباً لَهُ ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾، وقِصَّةُ نُوحٍ ويُونُسَ ومُوسَى كُلُّهَا شَاهِدَةٌ عَلَى ذَلِكَ، ويَقُولُ الله سُبْحَانَهُ عَنْ قَومِ شُعَيبٍ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ فَجَعَلَ المُشْرِكُونَ مِنْ قَومِ شُعَيبٍ خُرُوجَ شُعَيبٍ مِنْ قَريَتِهِمْ مُقَابِلاً لِرُجُوعِهِ إلى دِينِهِمْ وتَرْكِهِ عِبَادَةَ الله وَحْدَهُ، فقَالَ شُعَيبٌ لهم:

﴿ أَوَلَوْ كُنَّا كَرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ﴾.

وذَكَرَ الله عَنِ اليَهُودِ فَقَالَ: ﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ فَجَعَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ طَرْدَهُمْ مِنَ المَدِينَةِ عَذَاباً لَهُمْ فِي الدُّنْيا، يَقُولُ السُّيُوطِيُّ: ولَولا أنْ قَضَى الله عَلَيهِمُ الخُرُوجَ مِنَ الوَطَنِ لَعَذَّبَهُمْ في الدُّنْيا بالقَتْلِ والسَّبْيِ كَمَا فَعَل بِقُرَيْظَةَ مِنَ اليَهُودِ، ولهمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ.

وعَاقَبَ الله بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْ جَعَلَهُمْ يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ بِلاَ وَطَنٍ، أَرْبَعِينَ سَنَةً عُقُوبَةً لَهُمْ ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾.

عَبَادَ الله: حُبُّ الوَطَنِ مِنَ الإيمانِ، لَيْسَ حَديثاً نَبويًّا عَنهُ ﷺ، ولكِنِ الدَّليلَ والمَعْنَى يَشْهَدُ بِذَلِكَ، قَالَ ابنُ رَجَبٍ فِي جَامِعِ العُلُومِ والحِكَمِ: لَمَّا خَلَقَ الله آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَسْكِنَ هُوَ وزَوجَتُهُ الجَنَّةَ ثُمَّ أُهْبِطَ مِنْهَا، ووُعِدَ بالرُّجُوعِ إليهَا، فالمُؤْمِنُ أبداً يَحِنُّ إلَى وَطَنِهِ الأوَّلِ، وحُبُّ الوَطَنِ مَنَ الإيمَانِ أ.هـ وقَالَ المُلاَّ عَلي القَارِي لَمَّا تَكَلَّمَ عَنْ أنَّ هَذَا الحَدِيثَ مَوضُوعٌ عَلَى النَّبيِّ ﷺ قَالَ: ولا يَخْفَى أنَّ مَعْنَى الحَدِيثِ: حُبَّ الوَطِنِ مِنْ عَلامَةِ الإيمَانِ، وهِيَ لا تَكُونُ إلاَّ إذَا كانَ الحُبُّ مُخْتَصًّا بالمؤمِنِ، بِشَرْطِ أنْ يَكُونَ سَبَبُ حُبِّهِ أرْحَامُهُ، أو إحْسَانُهُ إلَى أهْلِ بَلَدِهِ، مِنْ فُقَرائِهِ وأيْتَامِهِ. أ.هـ مِنْ كَلامٍ نَفِيسٍ لهُ ذِكْرُهُ هُنَا كامِلاً يَطُولُ، أقُولُ قَولي وأسْتَغْفِرُ الله لِي ولَكُمْ فاسْتَغْفِرُوهُ.

الخطبة الثانية:

الحَمْدُ لله وَحْدَهُ، وأَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ في عِبَادَتِهِ، ولاَ فِي مُلْكِهِ، ولا فِي خَلْقِهِ وتَدْبِيرِهِ، وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ ورَسُولُهُ، صَلَّى الله عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً إلى يَومِ الدِّينِ، أمَّا بَعدُ:

فإنَّ تَقْوَى الله سُبْحَانَهُ وَحُبَّهُ وحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إلَى حُبِّهِ طَرِيقٌ إلى دُخُولِ الجَنَّةِ، فاتَّقُوا الله عِبادَ الله، ورَاقِبُوا أمرَهُ، واجْتَنِبُوا نَهْيَهُ، تَفُوزُوا وتُفْلِحُوا.

أيُّهَا الأخْوَةُ: إنَّ البَلَدَ الذِي نَعيشُ فِيهِ، وهُوَ المَمْلَكَةُ العَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ قَدْ اجْتَمَعَ فيهِ أنْواعُ الحُبِّ كُلِّهَا، فالحُبُّ الفِطْرِيُّ الذِي فُطِرَ عَلَيْهِ المَرْءُ لا يَقْوَى المَرْءُ عَلَى مُدَافَعَتِهِ، والحُبُّ الشَّرْعِيُّ لِمَا يُكِنُّهُ هَذَا البَلَدُ مِنْ مَكَّةَ

والمَدِينَةَ، مَكَّةُ الَّتِي قَالَ عَنْهَا ﷺ بَعدَ أنْ أخْرَجَهُ مِنهَا كُفَّارَ قُرَيْشٍ: (واللهِ لأَنْتِ أحَبُّ البِلادِ إلى اللهِ ولَوْلاَ أنَّ أهْلَكِ أخْرَجُونِي مِنكِ ما خَرَجْتُ)، والمَدِينَةُ الَّتِي وَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ أحَدَ جِبَالَهَا فقَال: (هَذَا أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا ونُحِبُّه).

بِلادٌ الأمْنُ فِيهَا وَارِفُ الظِّلالِ، العِبَاداتُ فِيهَا ظَاهِرَةٌ، الأمْرُ بالمعْرُوفِ والنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ قَائِمٌ، أصْوَاتُ المآذِنِ فِي كُلِّ شِبْرٍ مِنهَا، لا يَغِيبُ عَنكَ صَوتُ المؤذِّنِ أينَما يَمَّمْتَ فِي سَهلٍ أو وَادٍ، الشَّرْعُ فِيهَا قَائِمٌ بِمَحَاكِمَ شَرْعِيَّةٍ، يُقْضَى فِيهَا بِشَرْعِ اللهِ.

يَقُولُ ابنُ بازٍ رَحِمهُ اللهُ وهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنْ دَعْوَةِ الشَّيخِ محمَّدِ بنِ عبدَالوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ: الكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ لا يَزَالُ جَاهِلاً حَقِيقَتَهَا؛ لأنَّهَا أثْمَرَتْ ثَمَرَاتٍ عَظِيمَةً، لَمْ

تَحْصُلْ عَلَى يَدِ مُصْلِحٍ قَبلَهُ بعدَ القُرُونِ المَفَضَّلَةِ، وذَلِكَ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ قِيامِ مُجْتَمَعٍ يَحكُمُهُ الإسْلامُ، وَوُجُودُ دَولَةٍ تُؤمِنُ بِهَذِهِ الدَّعوَةِ، وتُطَبِّقُ أحْكَامَهَا تَطْبيقاً صَافياً نَقِيًّا فِي جَمِيعِ أحْوَالِ النَّاسِ، فِي العَقَائِدِ، والأحْكَامِ، والعَادَاتِ، والحُدُودِ، والاقْتِصَادِ، وغَيرَ ذَلِكَ مِمَّا جَعلَ بَعضَ المؤرِّخينَ لِهذِهِ الدَّعْوَةِ يَقُولُ: إنَّ التَّاريخَ الإسْلامِيَّ بَعدَ عهدِ الرِّسَالَةِ والخُلَفَاءِ الرَّاشِدينَ لَمْ يَشْهَدْ الْتِزَاماً تَامًّا بِأحْكَامِ الإسْلامِ كَمَا شَهِدَتْهُ الجَزِيرَةُ العَرَبِيَّةُ فِي ظِلِّ الدَّوْلَةِ السُّعُودِيَّةِ الَّتي أيَّدَتْ هَذِهِ الدَّعْوَةَ ودَافَعَتْ عَنهَا. أ.هـ

لَكِنَّ الأمْرَ الذِي يَنْقَضِي مِنهُ عَجَبُ المرْءِ: أيَكُونُ الإنْسَانُ عَدُوًّا لِوَطَنِهِ، فَيكونُ مصدَرَ إزْعَاجٍ وإفْسَادٍ وتَرْويعٍ، أيُؤذِي العَاقِلُ أهْلَهُ وجِيرَانَهُ وأرْحَامَهُ، مَا هَذَا

التَّنكُّرُ للجَميلِ، والخَلَلُ في التَّفْكِيرِ، هَلْ يُوجَدُ أحَدٌ هَكَذَا؟ نَعَمْ يوجَدُ: إنَّهُ مَنْ اتَّبعَ هَوَاه وأضَلَّه الله، يَقُولُ حُذَيفَةُ رَضِي الله عَنْهُ: قَالَ ﷺ: (إنَّ ممَّا أتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قَرَأَ القُرآنَ حَتَّى إذَا رُؤيَتْ بَهْجَتُهُ عَلَيْهِ، وكَانَ رِدَاؤُهُ الإسْلامُ، اعْتَراهُ إلَى مَا شَاءَ الله، انْسَلَخَ مِنْهُ، ونَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وسَعَى عَلَى جَارِه بالسَّيْفِ ورَمَاهُ بالشِّرْكِ)، قَالَ: قُلتُ: يا نَبيَّ الله: أيُّهُمَا أولَى بالشِّرْكِ المَرْمِيُّ أمِ الرَّامِي؟ قَالَ: (بَلِ الرَّامِي) رَوَاهُ ابنُ حِبَّانَ وأبُو يَعْلَى، وَجَوَّدَ إسْنَادَهُ ابنُ كَثيرٍ.

فانْظُروا إلَى مَنْ يُقاتِلُ أهلَ بَلَدِهِ، ويُزيدُ فِي طُغْيَانِهِ بأنْ يَحتَسِبَ ذَلِكَ جِهَاداً فِي سَبيلِ الله ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾.

السَّعْيُ فِي الفَسَادِ والإفْسَادِ عَدَاءٌ لِبَلَدِ الإسْلامِ، وعَدَمُ احْتِرامِ المَالِ العَامِّ، وإفْسادُ الأشْجَارِ، وإتْلافُ الأمْوَالِ، وتَخْريبُ الطُّرُقَاتِ، وإنْشَاءُ تَنْظِيماتٍ سِيَاسِيَّةٍ أو حَرَكِيَّةٍ كُلُّها مُخَالِفَةٌ لِبَلَدِ الإسْلامِ، وسَعْيٌ فِي إفْسَادِهِ، يَقُول ﷺ: (مَنْ آذَى المُسْلِمينَ فِي طُرُقِهِمْ وجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ) رَوَاهُ الطَّبَرانيُّ.

وأخِيراً أقُولُ: تَأمَّلُوا فَلَن تَجِدُوا شخصاً زُرِعَ فيهِ حُبُّ وَطَنِهِ إلاَّ وهوَ يَسعَى لِصَالحِ ذلِكَ الوَطَن، وكذَلكَ كُلُّ مَنْ آذَى وَطَنَهُ أو أهْلَ وَطَنِهِ إلاَّ وتَجِدهُ لمْ يَتَغَذَّ بِهَذَا الحُبِّ، وكَمْ مِنْ أشْخَاصٍ حُرِمُوا لَذَّةَ الوَطَنِ فأرَادُوا أنْ يُفْسِدُوا عَلَى النَّاسِ أوطَانَهُمْ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ.

ثَلاثٌ لا يُغَلّ عليهنَّ قَلبُ المؤمنِ

الحمدُ لله نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفرهُ ونَتُوبُ إليْهِ، ونَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أنْفُسَنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يهدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَاديَ لهُ، وأشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله وحْدَهُ لا شَرِيْكَ لهُ، وأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تَسليماً كَثيراً.

أمَّا بَعدُ: فَقَدْ أوصَاكُمُ الله تَعَالَى بِتَقْواهُ إنْ كُنتُم تُرِيدُونَ الفَوْزَ بِجَنَّتِهِ، فاتَّقُوا الله جَميعاً أيُّها النَّاسُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.

إنَّ مِنْ جَوَامِعِ الكَلِمِ الَّتي أُوتيهَا نَبيُّنَا مُحمدٌ ﷺ، والَّتي جَاءَتْ بألْفَاظٍ قَليلَةٍ، غَيرَ أنَّهَا تَحملُ مَعَانٍ كَبيرَةٍ مَا رَوَاهُ

الإمَامُ أحمدُ فِي مِسْنَدِه بِسَنَدٍ صَحيحٍ عَنْ جُبَيرِ بنِ مُطْعِمٍ قَالَ: قامَ فِينَا رَسُولُ الله ﷺ بالخَيفِ مِنْ مِنَى فَقَال: (نَضَّر الله امْرءًا سَمِعَ مَقَالَتي فَوَعَاهَا ثُمَّ أدَّاها إلى مَنْ لم يَسْمِعْهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لا فِقْهَ لَهُ، ورُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إلَى مَنْ هُوَ أفْقَهُ مِنهُ: ثَلاثٌ لا يُغَلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ المُؤمِنِ: إخْلاصُ العَمَلِ لله، والنَّصِيحَةُ لِوَلِيِّ الأمْرِ – وفِي رِوَايةٍ: طَاعَةُ ولِيِّ الأمْر – ولُزُومُ الجَماعَةِ، فَإنَّ دَعْوَتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وَرَاءِهِ، وفِي لَفْظٍ: فإنْ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ بِهِمْ مِنْ وَرائِهِم)، يَقُولُ شَيخُ الإسْلامِ ابنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ الله: وهَذِهِ الثَّلاثُ المَذْكُورَةُ فِي الحَدِيثِ تَجمَعُ أُصُولَ الدِّينِ وقَوَاعِدَهُ، وتَجمَعُ الحُقُوقَ الَّتي لله والتِي لِعِبَادِه، وتَنْتَظِمُ مَصَالِحُ الدُّنْيَا والآخِرَةِ أ.هـ

وابْتَدَأَ الشَّيْخُ مُحمدُ بنُ عَبدِالوَهَّاب رَحِمهُ الله كِتَابَهُ الذي جَمَعهُ فِي المَسَائِلِ الَّتي خَالَفَ فِيهَا رَسُولُ الله أهلَ الجَاهِلِيَّةِ ابْتَدَأَهُ بِهَذِه الثَّلاثَةِ الأمُورِ المَذْكُورَةِ في الحَدِيثِ ثُمَّ قَالَ: ولَمْ يَقَعْ خَلَلٌ فِي دينِ النَّاسِ ودُنْياهُمْ إلاَّ مِنَ الإخْلالِ بِهذِهِ الوَصِيَّةِ. أ.هـ

وقَدْ جَمَعَ هَذَا الحَدِيثَ مَرَاتِبَ الفِقْهِ والعِلْمِ مَعَ مَرَاتِبِ الدِّينِ، وقَدْ أوضَحَهَا ابنُ القَيِّم، يَقُولُ رَحِمَهُ الله: وَلَو لَمْ يَكُنْ فِي فَضْلِ العِلْمِ إلاَّ هَذَا الحَديث وَحْدَهُ لَكَفَى بِهِ شَرَفاً، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ دَعَا لِمَنْ سَمِعَ كَلامَهُ ووَعَاهُ وحَفِظَهُ وبَلَّغَهُ، وهَذِهِ هِيَ مَرَاتِبِ العِلْمِ أ.هـ، فأبْلَغَ شَيءٍ فِي هَذَا الحَدِيثِ أنَّ النَّبيَّ دَعَا لِمَنْ سَمِعَ هَذِهِ النَّصَائِحَ الثَّلاثُ وفَهِمَهَا ثُمَّ أدَّاهَا إلى غَيرِهِ بأنْ يَجعَلَهُ الله نَضِراً، فَمَراتِبُ

العِلم هِيَ سَمَاعُهُ وعَقْلُهُ، فإنَّهُ إذا سَمِعَهُ عَقَلَهُ قَلبُهُ واسْتَقَرَّ فيهِ، كَمَا يَسْتَقِرُّ الشيءُ فِي الوِعَاءِ، ثُمَّ تَعاهَدَهُ بعد ذَلِكَ، حَتَّى لا يَنْسَاهُ فَيَذْهَبَ، ثُمَّ بعدَ ذَلِكَ يُبلِّغُهُ ويَبُثُّهُ في الأمَّةِ لتَحْصُلَ الثَّمرةُ المقْصُودَةُ، فَمَنْ قَامَ بِهَذِهِ المَرَاتِبِ الأرْبَع دَخَلَ تَحْتَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ النَّبوِيَّةِ المُتَضمِّنَةِ جَمَالَ الظَّاهِرِ والبَاطِنِ، فَإِنَّ النُّضْرَةَ هِيَ البَهْجَةُ والحُسْنُ الذي يُكْسَاهُ الوَجْهُ مِنْ آثَارِ الإيمانِ، وابْتِهاجُ البَاطِنِ بهِ وفَرَحِ القَلْبِ وسُرُورِهِ والْتِذاذِهِ بهِ، كَمَا جمَعَ اللهُ بَيْنَ النُّضْرَةَ والسُّرُورِ في قولِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ ولِذَلِكَ تَجِدُونَ أكثرَ النَّاسِ انْشِراحاً وتَلَذُّذاً بالحَيَاةِ هُمْ أكثرُ النَّاسِ تَمَسُّكاً بِهَدْيِ النَّبيِّ ﷺ.

ثُمَّ إنَّ هَذَا الحَدِيثَ عِبادَ الله قَدْ جَمَعَ أُصُولَ الدِّينِ الذِي بِهِ تَسْتَقِيمُ حَيَاةُ النَّاسِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ، ولِذَلِكَ فَإنَّ مَنْ جَمَعَ هَذِهِ الأمُورَ خَلا قَلْبُهُ عَنِ الغِلِّ، فَلَمْ يَحمِلْهُ، فَإنَّهَا تَنْفِي الغِلَّ والغِشَّ وفَسَادَ القَلْبِ وسَخَائِمَهُ، يَقُولُ ابنُ عَبدِ البَرِّ شَارِحاً قَولَهُ ﷺ: (ثَلاَثٌ لا يُغَلُّ عَلَيهِنَّ): مَعْنَاهُ لا يَكُونُ القَلْبُ عَلَيهِنَّ ومَعَهُنَّ غَليلاً أَبداً، فَلا يَقْوَى فِيهِ مَرَضٌ ولا نِفَاقٌ إذَا حَقَّقَ هَذِهِ الثَّلاثَةَ أ.هـ وقَالَ ابنُ الأثِيرِ: والمَعْنَى أنَّ هَذِهِ الخِلالَ الثَّلاثَ تُسْتَصْلَحُ بِهَا القُلُوبُ فَمَنْ تَمَسَّكَ بِهَا طَهَّرَ قَلْبَهُ مِنَ الخِيَانَةِ والدَّغَلِ والشَّرِّ. أ.هـ ثُمَّ فِي قَولِهِ ﷺ: (فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إلَى مَنْ هُوَ أفْقَهُ مِنْهُ) تَنْبيهٌ دَقِيقٌ لِكُلِّ دَاعٍ إلى الخَيرِ ومُبَلِّغٍ لَهُ قَدْ يَنْقُلُ كَلاماً يَفْهَمُهُ المُبَلِّغُ أكْثَرَ مِنْ فَهْمِ

النَّاقِلِ، فيَحْصُلُ لَهُ بِسَبَبِ تِلكَ الدَّعْوَةِ الخيرُ الكَثِيرُ، فَلا عَلَيهِ بعدَ ذَلِكَ تَكْرَارَ الدَّعْوَةِ للنَّاسِ، ولا يَلْتَفِتُ إلَى المَوَانِعِ والصَّوَادِّ.

عِبادَ الله: الإخْلاصُ لله تَعَالَى فِي جَمِيعِ العِبَادَةِ هُوَ سَبِيلُ الخَلاَصِ، والإسْلامُ مَركَبُ السَّلامَةِ، والإيمَانُ خَاتَمُ الأمَانِ، فَمَنْ أخْلَصَ لله فِي عِبَادَتِهِ فَإنَّ إخْلاصَهُ يَمْنَعُ غِلَّ قَلْبِهِ، ويخْرِجُهُ ويُزِيلُهُ جُمْلَةً، لأنَّ القَلْبَ مُنْشَغِلٌ بالله سُبْحَانَهُ فَلَمْ يَبْقَ فِيهِ لأحَدٍ غَيرِه شَيئاً، يَقُولُ الله عَنْ يُوسُفَ: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ فَلَمَّا أخْلَصَ لِرَبِّهِ صَرَفَ عَنْهُ دَوَاعِي السُّوءِ والفَحْشَاءِ، ولـمَّا عَلِمَ إبْلِيسُ أنَّهُ لا طَرِيقَ لَهُ عَلَى المُخْلِصينَ لله فِي عِبَادَاتِهِمْ قَالَ: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ

لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ويقولُ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾، فمَنْ دَخَلَ فِي صَلاةٍ مَثلاً وجَعَلَ قَصْدَهُ اللهَ سُبْحَانَهُ وانْشَغَلَ بِصَلاتِهِ فلا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطانُ أنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ، واسْتَمْتَعَ المُصَلِّي بِهذِهِ الصَّلاةِ سَاجِداً ورَاكِعاً، كَيْفَ إذَا كَانَتْ هَذِهِ الصَّلاةُ رَابِطَةً بَيْنَ العَبدِ وبَينَ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ، لِذَلِكَ قَالَ ﷺ لبِلالٍ: (أَرِحْنَا بالصَّلاةِ يا بِلالُ). فالمُؤْمِنُ يَجِدُ في الصَّلاةِ لَذَّةً تُكْسِبُهُ بَعدَ ذَلِكَ نَضْرَةً وجَمَالاً، وقَدْ أوضَحَ ذَلِكَ قَولُ النَّبيِّ ﷺ فِي الحديثِ الآخَرِ: (يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأسِ أَحَدِكُمْ إذَا هُوَ نَامَ ثَلاثَ عُقَدٍ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإذَا قَامَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وإذَا تَوضَّا انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإذَا قَامَ فَصَلَّى

انْحَلَّتْ عُقَدُهُ الثَّلاثُ، وأصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ، وإلاَّ أصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلانَ) رَوَاهُ البُخَارِيُّ، فَهَذِهِ ثَمَرَة العِبَادَةِ الخَالِصَةِ لله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، تُورِثُ نَشَاطاً في الدُّنْيَا وفَلاحاً في الآخِرَةِ.

أمَّا الثَّانِيَةُ الَّتِي إذَا فَعَلَهَا المُؤمِنُ زَالَ غِلَّ قَلْبِهِ وَغِشُّهُ فَهِيَ النَّصِيحَةُ، النَّصِيحَةُ لا تُجَامِعُ الغِلُّ أَبداً، هِيَ ضِدُّهُ، فَمَنْ نَصَحَ الأمَّةَ والأئِمَّةَ فَقَدْ بَرِىءَ مِنْ الغِلِّ، ويَزْدَادُ أهميةُ النَّصِيحَةِ بأهميَّةِ المُنْتَفِعِ مِنْهَا، ولِذَا نَصَّ في بَعْضِ رِوَايَاتِ الحَدِيثِ عَلَى إمَامِ المُسْلِمِينَ، لأنَّ صَلاحَهُ صَلاحٌ لِكُلِّ مَنْ تحتَ يَدِهِ.

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إذَا سَمِعَ مِثلَ هَذِهِ الأحَادِيثِ وهِيَ النُّصْحُ لِوَلِيِّ الأمْرِ انْطَلَقَ فَهْمُهُ إلَى الإمَامِ الأعْظَمِ أو

خَلِيفةِ المسلِمينَ، ثُمَّ قَعَسَتْ نَفْسُهُ عَنِ النَّصِيحَةِ، بأَنَّهُ لا يَسْتَطِيعُ الوُصُولَ إليهِ، ثُمَّ إنَّهُ يَخْشَى بَطْشَ الحَاكِمِ وأذِيَّتَهُ، إذَا مَا قِيلَ لَهُ: إنَّك عَلَى خَطأ، وهَذَا فَهمٌ غيرُ صَحِيحٍ، فإنَّ النَّبيِّ ﷺ لـمَّا سُئِلَ عَنِ النَّصِيحَةِ لِمَنْ تَكُونُ، قَالَ: (لله ولِكِتَابِهِ ولِرَسُولِهِ ولأئِمَّةِ المُسلِمينَ وعَامَّتِهِمْ) وقَالَ أيْضاً: (كُلُّكُمْ رَاعٍ ومَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) وقَالَ: (مَنْ اسْتُرعِيَ رَعِيَّةً فَلَمْ يَحُطْهُمْ بِنَصِيحَةٍ لم يَجِدْ رِيحَ الجَنَّةِ، ورِيْحُهَا يُوجَدُ مِنْ مَسيرَةِ خَمسِمائَةِ عَامٍ)، فَكلَّ مَنْ تَولَّى أمراً مِنْ أمورِ المُسْلِمينَ حَتَّى وإنْ كَانَ صَغِيراً فَيَجِبُ عَلَى مَنْ دُونَهُ مُنَاصَحَتُهُ، والأخْذُ عَلَى يَدَيهِ، بِعَدَمِ السُّكُوتِ عَلَى خَطَأِهِ، فالمُدِيرُ فِي عَمَلٍ مَا يَجِبُ عَلَى مَنْ دُونَهُ مِنْ مَوظَّفِيهِ مُنَاصَحَتُهُ والأخْذُ عَلَى يَدَيهِ، وإلاَّ

أَثِمُوا بِتَقْصيرِهِمْ، لأَنَّهُمْ لم يُؤَدُّوا مَا أَمَرَهُمُ الله بِهِ، ثُمَّ تَجِدُ مِصْدَاقَ قَولِ النَّبيِّ ﷺ، فَتَجِدُ فِي قُلُوبِهِمْ عَلَى ذَلِكَ المَسؤُولِ عَنْهُمْ مِنَ الغِلِّ والحِقْدِ شَيئاً كَبيراً، يَزُولُ عَنْهُمْ ويَذْهَبُ لَو أَنَّهُمْ أَبْدَوا إِلَيْهِ نُصْحاً وأَرْشَدُوهُ.

يَقُولُ أَنَسَ بنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنْهُ: كَانَ الأَكَابِرُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ يَنْهَونَنَا عَنْ سَبِّ الأُمَرَاءِ، وقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءُ رَضِيَ الله عَنْهُ: إِنَّ أَوَّلَ نِفَاقِ المَرْءِ طَعْنُهُ عَلَى إِمَامِهِ، وقَالَ أَبُو إِسْحَاقُ: مَا سَبَّ قَوْمٌ أميرَهُمْ إِلاَّ حُرِمُوا خَيرَهُ، وقَالَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ الله عَنْهُ: إِذَا كَانَ وَالِي القَومِ خَيْراً مِنْهُمْ لَمْ يَزَالُوا فِي عَلْيَاءَ، وإِذَا كَانَ وَاليهِمْ شَرّاً مِنْهُمْ أو قَالَ: شَرُّهُمْ، لَمْ يَزْدَادُوا إِلاَّ سَفَالاً.

وَثَمَّةَ أَمْرَينِ أَيُّهَا الأُخْوَةُ لاَ بُدَّ مِنْ ذِكْرِهِمَا فِي هَذَا البَابِ، أَمَّا أَوَّلُهُمَا: فَهُوَ أَنَّ الحَاكِمَ والمِلكَ إِنَّمَا بُويعَ اسْتِجَابَةً لأَمرِ

الله تَعَالى بالبَيْعَةِ، ثُمَّ لِتَسْتَقِيمَ أمُورُ النَّاسِ بذَلِكَ، فَتَسْتَقِيمَ عِبَادَاتُهُمْ، لم نُبَايِعِ المَلِكَ لِيُعْطِينَا المَالَ، فإنْ كَانَ أحَدٌ قَصَدَ إلى ذَلِكَ فَقَدْ جَرَّ عَلَى نَفْسِهِ خَطَراً كَبيراً، فَقَدْ أخْرَجَ عَبدُ الرَّزَّاقِ وأحْمَدُ ومُسْلِمُ وغَيْرُهُم عَنْ أبِي هُرَيرَةَ قَالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: (ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمْ الله يَومَ القِيَامَةِ ولا يَنْظُرُ إلَيْهِمْ ولا يُزَكِّيهِمْ ولَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ: رَجُلٌ مَنَعَ ابنَ السَّبِيلِ فَضْلَ مَاءٍ عِنْدَهُ، ورَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ بَعْدَ العَصْرِ كَاذِباً فَصَدَّقَهُ فاشْتَرَاهَا بِقَوْلِهِ، ورَجُلٌ بَايعَ إمَاماً، فَإنْ أعْطَاهُ وَفَّى لَهُ، وإنْ لَمْ يُعْطِهِ لَمْ يَفِ لَهُ)، فاتَّقِ الله يَا عبدَ الله، ولا يَكُنْ شُغْلُكَ الشَّاغِلَ لَكَ: أكْلَ فُلانٌ مِنْ أمْوَالِ الدَّولَةِ كَذَا وأكْلَ فُلانٌ كَذَا، سَألَ رَجُلٌ عُمَر بنَ الخَطَّابِ رَضِي الله عَنْهُ: ألاَّ أخَافَ في الله

لَومَةَ لائِمٍ خَيرٌ لِي أمْ أقبِلُ عَلَى أمْرِي؟ فَقَالَ: أمَّا مَنْ وَلِي مِنْ أمرِ المُسْلِمينَ شَيئاً فَلا يَخَفْ في الله لَومَةَ لائِمٍ، ومَنْ كَانَ خِلْواً فَلْيُقْبِلْ عَلَى نَفْسِهِ ولْيَنْصَحْ لأميرِهِ.

أمَّا الثَّاني فَهُوَ أنَّ ذِمَّة الإنْسَانِ تَبرَّأ بإنْكَارِ المُنْكَرِ والخَطأ، فَإنْ كَانَ يَسْتَطِيعُ النُّصْحَ كَأنْ يَكُونَ أكِيلَهُمْ وشَرِيبَهُمْ، أو ذَا كَلِمَةٍ مَسْمُوعةٍ نَصَح وبَرَأتْ ذِمَّتُهُ، وإنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الأمْرِ شَيءٌ فَيُنْكِرُ بِقَلبِهِ ويَدْعُو لَهُ بالصَّلاحِ، فَهَذَا مِنَ النَّصِيحَةِ، سُئِلَ مَالكُ بنُ أنسٍ: أيَأتِي الرَّجُلُ إلَى السُّلْطانِ فَيَعِظُهُ ويَنْصَحُ لَهُ ويَنْدُبُهُ إلى الخَيرِ؟ فَقالَ: إذَا رَجَا أنْ يَسْمَعَ مِنْهُ، وإلاَّ فَلَيْسَ ذَلِكَ عَلَيْهِ.

أقُولُ هَذَا القَولَ وأسْتَغْفر الله لِي فاسْتَغْفِرُوهُ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله عَلَى إحْسَانِهِ، والشُّكْرُ لَهُ عَلى تَوْفِيقِهِ وامْتِنَانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحْدهُ لا شريكَ لهُ، وأشْهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولهُ صَلَّى الله عليهِ وعَلَى آلِهِ وأصْحَابِه، ومَنْ سَارَ عَلى نَهْجِهِ إلى يومِ الدِّينِ. أمَّا بعدُ:

فإنَّ الثَّالِثَ مِمَّا يَجْلِبُ لِنَفْسِ المؤمِنِ النَّضْرَة والبَهْجَةَ، ويُزيلُ عَنهُ الغِلَّ والغِشَّ، فهُوَ مَا وَرَدَ فِي قَولِهِ ﷺ: (ولُزُومُ الجَمَاعَةِ فإنَّ دَعْوَتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وَرَائِهِ) قَالَ ابنُ القَيِّمِ: فإنَّ المُلازِمَ لِجَمَاعَةِ المُسْلِمينَ يُحِبُّ لَهُمْ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، ويَكْرَهُ لهُمْ مَا يَكْرَهُ لَهَا، ويَسُوؤهُ مَا يَسُوؤهُمْ، ويَسُرُّهُ ما يَسُرُّهُمْ، وهَذَا بِخِلافِ مَنِ انْحَازَ عَنْهُمْ واشْتَغَلَ بالطَّعْنِ عَلَيهِمْ والعَيبِ والذَّمِّ... إلى أن قال:

فَهؤلاءِ أَشَدُّ النَّاسِ غِلاًّ وغِشّاً بِشَهَادَةِ الرَّسُولُ والأمَّةِ عَلَيْهِمْ، وشَهَادَتِهِمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ بِذَلِكَ، فإنَّهُمْ لا يَكُونُونَ قَطُّ إلاَّ أعْواناً وظَهْراً عَلَى أَهْلِ الإسْلامِ، فَأيُّ عَدُوٍّ قَامَ للمُسْلِمينَ كَانُوا أعْوَانَ ذَلِكَ العَدُوِّ وبِطَانَتَهُ، وهَذَا أَمْرٌ قَدْ شَاهَدَتْهُ الأمَّةُ مِنْهُمْ، ومَنْ لَمْ يُشَاهِدْهُ فَقَدْ سَمِعَ مِنهُ ما يُصِمُّ الآذَانَ ويَشْجِي القُلُوبَ. أ.هـ

مَنْ نَظَرَ أيُّهَا الأخْوَةُ إلى تَعَاليمِ الدِّينِ وَجَدَ أَنَّهُ جَاءَ في جَمِيعِ شَعَائِرِهِ بالأمْرِ بالجَمَاعَةِ والنَّهْيِ عَنِ الاخْتِلافِ، فَهَذِهِ الصَّلاةُ مَثلاً أُمِرَ النَّاسُ أنْ يُصَلُّوا خَلْفَ إمَامٍ وَاحِدٍ، فَتَصَوَّرُوا لَوْ أنَّ في المَسْجِدِ الوَاحِدِ إمَامَينِ، كُلُّ إمَامٍ لَهُ طَرِيقَةٌ، أيُّ خِلافٍ ونِزَاعٍ سَيحْصُلُ، ونَصَّ أهلُ العِلْمَ عَلَى أنَّ إقَامَةَ صَلاةِ الجُمُعَةِ لا تَجُوزُ إقَامَتُهَا في

البَلَدِ الوَاحِدِ الصَّغيرِ إلاَّ في مَكَانٍ واحِدٍ إلاَّ بإذْنِ الإمَامِ الأعْظَمِ، والمرْأةُ لا بُدَّ لَهَا مِنْ وَلِيٍّ يَقُومُ بِأُمُورِهَا، فَمَا الحالُ لَوْ كانَتْ وِلايَةُ المرْأةِ أو اليَتيمِ أوِ السَّفيهِ القَاصِرِ إلى شَخْصَينِ أوْ ثَلاثَةٍ، أيُّ خِلافٍ ونِزَاعٍ سَيَحْصُلُ بِسَبَبِ ذَلِكَ، لِذَلِكَ كَانَ أهلُ العِلْمِ أشَدُّ النَّاسِ حِرْصاً عَلَى لُزُومِ الجَمَاعَةِ وعَدَمِ الاخْتِلافِ عَنْ جَمَاعَةِ المُسْلِمينَ، سُئِلَ أحمَدُ: أتُصَلِّي خَلْفَ مَنْ لا يَتَوَضَّأ مِنْ لَحمِ الجَزُورِ؟ فَقَالَ: ألاَ أُصَلِّي خَلْفَ الشَّافِعيِّ، ولِذَلِكَ جَاءَ حَديثٌ عَنِ النَّبيِّ ﷺ عِندَ التِّرمِذِيِّ: (صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وفَاجِرٍ) وذَلِكَ لِتَسْتَقِيمَ صَلاةُ النَّاسِ.

لأجْلِ ذَا جَاءَتِ الأدِلَّةُ المُحَذِرَةُ مِنَ الخُرُوجِ عَنْ جَمَاعَةِ المُسْلِمينَ وَاضِحَةً وجَلِيَّةً، رَوَى مُسلِمٌ وأحمدُ والنَّسَائيُّ

مِنْ حَدِيثِ أبي ذَرٍّ وأبي هُرَيرَةَ وابنِ عَبَّاسٍ – كُلُّهُمْ بِمَعْنَى واحِدٍ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: (مَنْ خَرَج مِنَ الطَّاعَةِ وفَارَقَ الجَمَاعَةَ فَماتَ، فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ) وقَالَ ﷺ: (وأنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ أمَرَني الله بِهِنَّ: الجَمَاعَةُ والسَّمْعُ والطَّاعَةُ والهِجْرَةُ والجِهَادُ فِي سَبيلِ الله، فَمَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيْدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإسْلامِ مِنْ رَأسِهِ، إلاَّ أنْ يَرْجِعَ، ومَنْ دَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ فإنَّهُ مِنْ حُثَاءِ جَهَنَّمَ) قَالَ رَجُلٌ: وإنْ صَامَ وصَلَّى؟ قالَ: (وإنْ صَامَ وصَلَّى) رَوَاهُ أحمدُ والنَّسَائيُّ والتِّرمِذِيُّ وابنُ مَاجَهْ والحَاكِمُ.

بَلْ أعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ أمَرَ بِقَتْلِ مَنْ أرَادَ تَفْرِيقَ جَمَاعَةِ المُسْلِمينَ، فَعَنْ عَرْفَجَةَ بنِ شُرَيحٍ الأشْجَعيِّ قَالَ: رَأيْتُ النَّبيَّ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ فقَالَ: (إنَّهُ

سَيَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وهَنَاتٌ، فَمَنْ رَأيتُمُوه فَارَقَ الجَمَاعَةَ أو يُرِيدُ يُفَرِّقُ أمْرَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَائِناً مَنْ كَانَ فَاقْتُلوهُ، فإنَّ يَدَ الله عَلَى الجَمَاعَةِ، وإنَّ الشَّيْطانَ مَعَ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ يَرْكُضُ) رَواهُ البَيْهقيُّ وغَيرُه، يَقُولُ ابنُ عبدِالبَرِّ: الآثَارُ المَرْفُوعَةُ في هَذَا البَابِ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى أنَّ مُفَارَقَةَ الجَمَاعَةِ وشَقَّ عَصَا المُسْلمينَ والخِلافَ عَلَى السُّلْطَانِ المجْتَمَعَ عَلَيْهِ، يُرِيقُ الدَّمَ ويُبِيحُهُ، ويُوجِبُ قِتَالَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عَلَى شُبْهَةٍ يُرَدِّدُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وهُوَ أنَّ مَنْ خَرَجَ عَلَى الجَمَاعَةِ فَلا يَزَالُ مُسْلِماً، والرَّسُول ﷺ قالَ: (أُمِرْتُ أنْ أقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إلهَ إلاَّ الله، فَإذَا قَالُوها فَقَدْ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وأمْوَالَهُم إلاَّ بِحَقِّها، وحِسَابُهُمْ عَلَى الله) فَلا يَجُوزُ لَنَا

قِتَالُ هَؤلاءِ الذِينَ خَرَجُوا عَلَينا الآنَ لأنَّهُمْ مُسْلِمُونَ، يَقُولُ ابنُ عَبدِ البَرِّ رَدّاً عَلَى هَذَا القَولِ: أجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى قِتَالِ مَانِعي الزَّكَاةِ، ومَعْلُومٌ مَشْهُورٌ عَنْ مَانِعِي الزَّكَاةِ أنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا خَرَجْنَا عَنْ دِينَنا وإنَّمَا شَحَحْنَا عَلَى أمْوَالِنَا، فَكَمَا جَازَ قِتَالُ مَانِعِي الزَّكَاةِ فَكَذَلِكَ مَنْ شَقَّ عَصَا المُسْلِمينَ وخَالَفَ إمَامَ جَمَاعَتِهِمْ، وفَرَّقَ كَلِمَتَهُمْ، لأنَّ الفَرْضَ الوَاجِبَ اجْتِمَاعُ كَلِمَةِ أهلِ دِينِ الله المُسْلِمينَ عَلَى مَنْ خَالَفَ دِينَهُمْ مِنَ الكَافِرينَ حَتَّى تَكُونَ كَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةً وجَمَاعَتُهُمْ غَيرُ مُتَفَرِّقَةٍ، ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ الله: ومِنَ الحُقُوقُ المُرِيقَةِ للدِّمَاءِ المُبِيحَةِ للقِتَالِ: الفَسَادُ في الأرْضِ وقَتْلُ النَّفْسِ وانْتِهَابُ الأهْلِ والمَالِ والبَغْيِ علَى السُّلْطانِ والامْتِنَاعِ مِنْ حُكْمِهِ. أ.هـ

عِبادَ الله: لَكُمْ أنْ تَتَصَوَّرُوا حَجْمَ الفَسَادِ الذِي وَقَعَ بِسَبَبِ مَا أوْقَعَتْهُ هَذِه الفِئَةِ مِنْ إفْسَادٍ فِي هَذِه البلادِ وسَفْكٍ للدِّمَاءِ، أَلَيْسَ مِنْ فَسَادِهِمْ أنَّهُمْ فَتَحُوا المَجَالَ أمَامَ كُلِّ مَنْ يُريدُ إفْسَادَ هَذَا الدِّينِ، أَلَيْسَ مِنْ إفْسَادِهِم أنَّهُمْ فَرَّقُوا كَلِمَةَ المُجْتَمَعِ الوَاحِدِ، بَلْ أحْيَاناً حَتَّى البيتَ الوَاحِدَ، أَلَيْسَ مِنْ إفْسَادِهِمْ أنَّهُمْ جَعَلُوا النَّاسَ يَتَكَلَّمُ بَعضُهمْ فِي بَعْضٍ، فانْتَشَرَ الغِلَّ والتَّحاقُدَ بَينَ فِئاتٍ مِنَ المُجْتَمَعِ، بَلْ حَتَّى في أمُورِكُمُ العَامَّة تَغَيَّرَتْ كَثيرٌ مِنْها إلى صُورَةٍ أسْوَأَ مِمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ، بِسَبَبِ مَا أوجَدَهُ فِعْلُ هَذِهِ الفِئةِ مِنْ تَفْرِيقٍ وتَشْتِيتٍ.

كُلُّ ذَلِكَ كَي تَعْلَمُوا عِبادَ الله أهَمِيَّةَ لُزُومِ جَمَاعَةِ المُسْلِمينَ، وضَرَرِ الخُرُوجِ عَلَيْهَا وتَفْرِيقِهَا أو نَشْرِ الفِتْنَةِ فِيهَا، ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾.

ثُمَّ خَتَمَ النَّبيُّ ﷺ هَذَه الوَصِيَّةَ الجَامِعَةَ بِعِبَارَةٍ بَدِيعَةٍ نَافِعَةٍ، يَقُولُ ابنُ القَيِّمِ: قَولُهُ ﷺ: (فإنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ) هَذَا مِنْ أحْسَنِ الكَلامِ وأوْجَزِهِ وأفْخَمِهِ مَعنىً، شَبَّه دَعْوَةَ المُسْلِمينَ بالسُّورِ والسِّياجِ المُحيطِ بِهِمْ المَانِعِ مِنْ دُخُولِ عَدُوِّهِمْ عَلَيْهِمْ، فَتِلْكَ الدَّعْوَةُ الَّتي هِيَ دَعْوَةُ الإسْلامِ لَمَّا كَانَتْ سُوراً وسِيَاجاً عَلَيْهِمْ، أخْبَرَ أنَّ مَنْ لَزِمَ جَماعَةَ المُسلمينَ أحَاطَتْ بِهِ تِلكَ الدَّعْوَةُ كَما أحَاطَتْ بِهِمْ، فالدَّعْوَةُ تَلُمُّ شَمْلَ المُسْلِمينَ وتَلُمُّ شَعَثَهَا وتُحيطُ بِهَا، فَمَنْ دَخَلَ فِي جَمَاعَتِهَا أحَاطَتْ بِهِ وشَمِلَتْهُ. أ.هـ

فاتَّقُوا الله عِبادَ الله وعَلَيْكُمْ بالجَمَاعَةِ فَإنَّ يَدَ الله مَعَ الجَمَاعَةِ ومَنْ شَذَّ شَذَّ في النَّارِ.

وَصَلُّوا وسَلِّمُوا عَلى نَبيِّ الهُدَى والرَّحْمَةِ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
قتل الأنفس المعصومة بغير حق	٥
الأمن والأمان مطلب الجميع	٢٢
الاعتداء على رجال الأمن	٣٨
تعظيم الولاة وتقدير العلماء	٥٦
حب الوطن والدفاع عنه	٦٩
ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن	٩١

يطلب من
مؤسسة الجريسي للتوزيع
الرياض ١١٤٣١ - ص.ب ١٤٠٥
هاتف: ٤٠٢٢٥٦٤ - فاكس: ٤٠٢٣٠٧٦

ردمك: ٨-٠٣١-٤٧-٩٩٦٠